مفهوم الإمامة عند الإمام جعفر الصّادق عليه السلام وموقفه من الأفكار الغالية

الدكتورة
مرضية محمد زاده
متخصصه في الفيلولوجيا وتاريخ الحضارة
جمهورية إيران الإسلامية
مركز (موسوعة العالم الإسلامي)
mohammadzadeh37@yahoo.com

الملخص:

إنّ الإمامة بالتأكيد لها اهم الأدوار في منظومة الفكر الكلامي للشيعة الامامية. ان الاعتقاد بالنص والعصمة من جهة ودور الامامية بالنسبة للموقع المعنوي لدى الامام، اي المرجعية الدينية الحصرية للائمة، من جهة ثانية، قد مهد فضاء للنقاش عن خصائص الامام تحت عنوان ماهية مقام الإمامة وحدود العلم وقوة الامام. ان الشيعة وخاصة الاثنى عشرية منهم، ينادون بوفاءهم بالنظام السياسي الذي قد تم تعريفه على يد النبي الأكرم صلوات الله و سلام عليه والذي له جذور في المعارف القرانية. انهم من خلال طرح أصلين وهما النص والعصمة قد أعلنوا عن وفاءهم علنا وعملا. التاكيد على عصمة الامام يدل على الجهد وراء تطبيق صلاحيات القيادة على خصال الرسول والاعتقاد بالنص يدل على التاكيد في حفظ الموقف الالهي لدى قادة المجتمعات.

يذكر الإمام جعفر الصادق عليه السلام شروطا للإمامة، منها أن يكون الإمام أعلم الناس وأتقاهم وأكثرهم شجاعة وكرما وأفضلهم عدلا وإنصافا، ويعتبر الأئمة المعصومين عليهم السلام بأنهم علماء ذوو حلم وأنهم صادقون ومتكلمون وأهل فهم وإدراك، إن الإمام هو الشخص المبرأ من الذنوب والمعاصي والبعيد عن العيوب والنقائص، وإنه يعرف عنه العلم والحلم والعمل من أجل عزة المسلمين ومواجهة المنافقين والقضاء على الكافرين وإغضابهم، إن الإمام هو المرجع الديني الوحيد في عصره وزمانه الذي يتحمل مسؤولية تعليم أحكام الشريعة وتفسيرها ونشر الأخلاق الحسنة في المجتمع وتربية أبنائه. بوجود الإمام تكتمل الأعمال العبادية الأخرى مثل الصلاة والصوم والحج والجهاد، كما تتجسد

معاني أعمال أخرى مثل الغنائم والزكات عندما يكون على رأسها إمام ينفذ هذه الأحكام ويطبقها في المجتمع. إن الإمام هو أمين الله في أرضه وحجته على عباده، إنه يطهر الدين من البدع والانحرافات ويقود المجتمع إلى بر الأمن والأمان، إنه خليفة الله ورسول في الأرض وإن أصل الإمامة هو من الأصول المكملة للدين. لا يشاهد في كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام وحديثه أي غلو وتطرف خلافا لما يراه البعض من الغلاة فيهم، حيث يصورنهم على أساس أنهم مخلوقات يختلفون عن الجنس البشري وأن الله أعطائهم قدرات وفوضهم في أمور كونية مثل أن يخلقوا ويرزقوا المخلقوقات الأخرى وأن الله كلفهم بتشريع الأحكام ووهبهم علما ذاتيا مطلقا وأنهم يملكون علم الغيب ويعرفون ما يدور في السماء والأرض، كما إنهم يعلمون موعد يوم القيامة والبعث وغيرها من أمور تختلف اختلافا كبيرا عن الحقيقة التي كان عليها الأئمة الأطهار، كما إن الغلاة يعتقدون أن الأئمة يستطيعون فعل المعجزات وأنهم لا يسهون ولا يغفلون. كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يخالف هذه الأفكار والعقائد المنحرفة ويعارضها بشدة ويؤكد أن هذه الأوصاف التي تنسب لهم لا يمتلكها غير الله عزّ وجل.

الكلمات المفتاحية: الإمام جعفر الصادق عليه السلام - القرآن الكريم - الإمامة - الغلاة.

المقدمة:

لا شك أن الإمامة تحتل المقام والدور الأهم في العقيدة الكلامية للشيعة الإثني عشرية، وإن الاعتقاد بـ ((النص)) و((العصمة)) من جانب والدور الذي يحدده الشيعة الإمامية للمنزلة المعنوية للإمام أي اعتبار الإمام مرجعا دينيا وحصر هذه المقام في شخصه تبين مدي الأهمية للإمام لدي أتباع المذهب الإمامي الإثني عشري، ومن جانب آخر فان مقام الإمام بات مسرحا لقضايا ونقاشات عملية وعقائدية لمعرفة خصائص الإمام وطبيعة مقام الإمامة والقدرة التي يمتلكها وحدود هذه القدرة التي وهبها الله له. وإن الإصرار على عصمة الأئمة هو سعي ومحاولة لإعطاء الصلاحية القيادية التي كان يتمتع بها النبي الأكرم صلوات الله و سلام عليه للأئمة من بعده والاعتقاد بالنص يبين الإصرار للاحتفاظ بالمقام الإلهي لقادة المجتمع وأئمته. يعتبر الأئمة المعصومين عليهم السلام وبفضل العلم الذي اقتنوه وتوارثوا من آبائهم وأجدادهم الذين أخذوا هذا العلم من النبي الأكرم صلوات الله و سلام عليه هم

المرجع الوحيد لتفسير الشريعة وأحكام الدين الإسلامي الحنيف. يستخرج الإمام أحكام القضايا التي تحدث في عصره وزمانه بعد أن يقيسها مع الأصول والأسس العامة التي ذكرت في كتب الأئمة والمعصومين وبسبب العصمة التي ووهبها الله لهم وصيانتهم من الخطأ في أحكام الشريعة يكون الأئمة دائما مصيبين (في الأقوال والأفعال) وتتوجب طاعتهم على الآخرين.

الموضوع الرئيسي للبحث:

يسعى هذا البحث للوقوف على مفهوم الإمامة لدي الإمام جعفر الصادق عليه السلام ودراسة موضوع الغلو في قضايا مثل منزلة الإمام ومواهبه وقدراته والدور الذي كلف به وتشبيه الأئمة المعصومين عليهم السلام بالله عزوجل وقضايا مثل العلم والعصمة والمعجزات والكرامات وتصوير الإمام على عليه السلام أساس أنه مخلوق غير طبيعي ويختلف عن الجنس البشري أو جعل قضية وفاتهم أو استشهادم كأسطورة ورمز، فالبحث يحاول مناقشة هذه القضايا ومعرفة موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام من الأفكار الغالية التي تتناقض مع الحق والحقيقة.

بيان المسألة:

إن التاريخ الإسلامي الطويل قد شهد أضرارا متعددة لحقته جراء انتشار الأفكار الغالية والمعتقدات المتطرفة في ما يتعلق بموضوع الإمامة، وإن التحذير الدائم من القرآن الكريم والأئمة المعصومين عليهم السلام ومنهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام من هذه الظاهرة وضرورة اجتنابها تظهر خطورة هذا الموضوع وحساسيته. إن الوقوف على الأفكار المتطرفة والغالية وموقوف الإمام جعفر الصادق عليه السلام منها وتحليلها هو الهدف والغاية من هذه الدراسة. وقد استخرجنا معايير الغلو من الكتاب والسنة وسيرة النبي الاكرم صلوات الله و سلام عليه والأئمة المعصومين عليهم السلام. رغم وجود العديد من الدراسات والبحوث حول موضوع الغلو إلا أن مناقشة موضوع الإمامة والغلو في مصادر الشيعة محدود للغاية ويكاد أن يكون معدوما؛ ولهذا جاءت هذه الدراسة لتسد جانبا من الخلل الموجود في هذا الجانب.

منهج البحث:

استعنا في هذه الدراسة ونظرا إلى طبيعة الموضوع بالقرآن الكريم باعتباره أول المصادر

وأوثقها في بيان عقائد المسلمين في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية، فالقرآن الكريم يعتبر حكما لمعرفة الحق من الباطل والخطأ من الصواب، ومن مزايا هذا المصدر الإلهي أنه يمكن وضعه كمصدر للفصل وتقييم عقائد المسلمين وأفكارهم في كل بحث ودراسة تدور حول هذا الموضوع. وبعد القرآن الكريم استعنا بالسنة النبوية الطاهرة وسيرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ما توصلت لنا من أحاديث وأقوال، وقد لجأنا إلى منهج تحليل الخطاب في هذه الدراسة نظرا إلى طبيعة البحث وفاعلية هذا المنهج في مثل هذه الدراسات والبحوث.

خلفية البحث وضرورته:

لقد بحثت العديد من الكتب والمقالات موضوع الغلو ورغم الأهمية والدقة التي تحظي بها هذه البحوث والدراسات إلا إنها نظرت إلى هذا الموضوع من زاوية واحدة. إن هذه الدراسة تهتم بالأفراد والفرق والجماعات الشيعية التي طرحت قضايا غالية وأفكار متطرفة في المسائل الاعتقادية، وقد وصف أصحاب هذه الأفكار المتطرفة بالغلاة، ورغم هذا إلا أن موضوع الغلو والموقف منه لدي كل إمام على حده لقي اهتماما ضئيلا من قبل الدراسين والباحثين. لقد ناقشنا في هذه الدراسة موضوع الإمامة لدي الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومواجهته للأفكار الغالية والمعتقدات المتطرفة التي كانت سائدة في عصره.

الإمامة:

الإمامة هي مقام هام جدا ومنصب معنوي رفيع، وحسب النص القرآني الصريح فإن أنبياء كبارا مثل خليل الله إبراهيم عليه السلام قد نالوا هذا المقام بعد أن عانوا المشقات والمحن وأدوا الاختبارات الصعبة (البقرة/١٢٤). ومن الضروري وجود معايير تحدد شخص الإمام وتبينه في المجتمع ومن أهم الخصائص التي تؤهل الإنسان إلى نيل مقام الرسالة والإمامة وفق القرآن الكريم هو عدم عبادة غير الله والنجاح في الاختبارات الإلهية في مجاهدة النفس والسعي للابتعاد عن الضلال والانحراف واجتناب الظلم والفساد في مختلف الأبعاد والمستويات، والقيام بالأعمال الصالحة مثل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتبعا لذلك نيل رضا الله وهدايته والاتصاف بالعلم والحكمة والتقوي والصبر والصدق والإخلاص والقدرة واليقين وأخيرا كسب رضوان الخالق سبحانه وتعالى والدخول في زمرة عباد الله المخلصين. وفي الروايات والأحاديث المنقولة عن آل البيت عليهم السلام اهتم كذلك بهذا الجانب وهذه

الصفات والخصائص الواجب توفيرها في الإنسان لكي يمكن اعتباره مستحقا لحمل الرسالة والإمامة في المجتمع (راجع: البقرة/١٢٤، ٢٤٧، آل عمران/٢٨، المائدة/٥١، ٥٥، ٥٧، النساء/٥٤، الاعراف/٦١، ٦٧، ١٢٨، الانبياء/٧٢-٧٥، ٧٨-٧٩، ١٠٥، التوبة/٧١، مريم/٤٩-٥٨، ٦٥، الغافر(المؤمن)/٤٧-٤٨، القلم/٨، الاسراء/٧٩، الفرقان/٧٠-٧٣، النور/٥٥، الشعراء/٢١، ١٥١، النحل/٥٩، السجده/٢٤، العنكبوت/٢٧، و...). وفي الروايات تم تحديد وظائف الإمام وما يتوجب عليه من تكاليف وواجبات في المجتمع مثل تفسير وشرح كلام الله وإحياء الحياة المعنوية والروحية للأفراد، وبيان الحلال والحرام من الأمور وهداية أبناء المجتمع وقيادتهم إلى الصلاح والعمران والوقوف أمام الانحرافات في الدين والشريعة وغيرها من أمور وقضايا. وفي هذا الإطار تم الإشارة إلى القدرة البيانية للأئمة وتمكنهم من الإجابة والرد على الشبهات التي يطرحها المخالفون ورفع الخلاف بين الناس حول فهم الكتاب والسنة ومعرفتهم بالكتب السماية والتبحر فيها من أجل إصدار الأحكام وفق شريعة أتباع الديانات الأخرى. ويبدو أن الأحاديث والروايات التي تؤكد أن العلم الحقيقي يوجد لدي الأئمة المعصومين عليهم السلام (راجع: الكليني: ٣٩٩/١-٤٠٠) وأنهم مكملون لشريعة الأنبياء ونهجهم في الحياة (راجع: الكليني: ٣٦٣/١-٣٦٧) وأن دوام صلاح هذا العالم ونظامه ينحصر بوجودهم فيه (الصدوق: علل الشرايع، ٣٤١، ٣٤٣)، كلها أحاديث منطقية وتجسد الأهمية التي تمتع بها الإمامة ودور الإمام في المجتمع. وعلي ذلك لا يجوز إنكار كل من هذه الصفات لدي الأئمة وإنهم مصداق للإنسان الكامل الذي يحظي بمواهب وفضائل في ظل طاعته الكاملة لله وأوامره، ومن الطبيعي تكون نتيجة هذه الفضائل التي رزق بها الأئمة هي الطاعة التامة من الخالق وما يريده منهم. لقد تطرق رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيان مزايا وخصائص الإمام على باعتباره شخصا يستحق مقام الإمامة. إن أسبقية الإمام على عليه السلام وعلمه وحلمه بالمقارنة مع الآخرين وكرمه وجوده هي من القضايا التي ركز عليه النبي الأكرم صلوات الله و سلام عليه في الحديث عن الصفات المؤهلة لنيل مقام الإمامة (راجع: الصدوق: الامالي، ٨، ١٣، ٩٦).

مفهوم الإمامة عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

هناك وثائق ومستندات قيمة نحتفظ بها من الأئمة المعصومين عليهم السلام في ما يتعلق بموضوع

الإمامة وكان هذا الموضوع في البداية يعتمد على النقل لأنه في الأساس نشأ تساؤل عن حقيقة تعيين الإمام من قبل النبي من بعده وهل عين النبي الأكرم صلوات الله و سلام عليه فعلا قبل رحيه وصيا من بعد أم لا؟ وبمرور الزمان احتاجت هذه القضية إلى تبيين عقلي وشرح منطقي وأن تعرف ماهية وصفات الشخص الذي يمكنه أن يكون خليفة لرسول الله صلوات الله و سلام عليه وأن يحكم الأمة الإسلامية؟ وهل يجب أن يعين هذا الشخص من جانب الخالق سبحانه أو من قبل الناس؟ وعلي هذه نوقشت هذه القضايا حتى عصر الإمام محمد الباقر عليه السلام بالاعتماد على النقل وأحيانا أخرى على الجانب العقلي من الموضوع. لكن في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام أخذت قضايا ومسائل هذا الموضوع تتجح نحو التفصيلات العقلية والشرح المنطقي للموضوع وقد قدم الإمام نفسه معارف جمة في هذا الإطار وحدد طريقة معينة لمعرفة الإمام الذي ينبغي طاعته ويجب أن تتوافق هذه الطريقة مع الفطرة وطبيعة الإنسان وان يكون الإمام صاحب امتيازات وجدارة كافية للقيام بهذه المسؤولية الملاقاة على عاتقه. ويتم الشرح بهذه الطريقة: للإمام شروط وعلامات كثيرا منها: ((يجب أن يكون أعلم الناس وأتقاهم وأكثرهم شجاعة وكرما وأفضلهم عدلا وإنصافا)). وإن وجود هذه الصفات والخصائص في شخص الإمام ضرورة لأنه - بعد النبي - مطبق أحكام الشريعة ومبين غوامض الدين وأسراره التي قد يصعب فهما على الناس. قام الإمام جعفر الصادق عليه السلام في عصره وبسبب الظروف الخاصة التي كانت تسود ذلك الزمان بتبين الجوانب المختلفة لقضية الإمامة مثل اعتبار وتبيين أن الإمامة هي ركن أساسي في الدين الإسلامي وتبيين ضرورة معرفة الإمام وطاعة أوامره، وكذلك بيان أن الإمامة هي مقام منصوص عليه وشروط الإمامة وكيفية معرفة الإمام وغيرها من القضايا التي كانت تحتاج إلى شرح وبيان من قبل الإمام المعصوم الصادق عليه السلام.

في الواقع يمكننا القول أن تبيين قضية الإمامة بشكل كامل بعد رحلة النبي شهدت وقفة زمنية تقدر بقرن كامل وإن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يعتبر من الناحية العملية البادئ في تبيين هذه القضية وأركانها، فالأئمة السابقون الذين عاشوا قبل الإمام الصادق عليه السلام لم تتاح لهم الفرصة لبيان هذه القضية وشرح تفاصيلها.

الإمامة ركن أساسي للإسلام:

إن الولاية للأئمة الطاهرين جزء من الاسلام و عنوان للأيمان و قد اذاع الرسول صلى الله عليه وآله بين أمته هذا الفرض الديني المقدس و الزم الأمة به و عني به اكثر مما عني باي واجب ديني يقول الإمام أبا عبدالله عليه السلام: أثافي الإسلام ثلاثة الصّلاة و الزّكاة و الولاية لا تصحّ واحدة منهنّ إلّا بصاحبتيها (الكليني: ١٨/٢). و وصيته لعبدالله بن جندب: يابن جندب! لكلّ شيء أساس و أساس الاسلام حبّنا أهل البيت (ابن شعبه حراني:٣٠١) و عن عيسى بن السّري قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام حدّثني عمّا بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملي و لم يضرّني جهل ما جهلت بعده فقال شهادة أن لا إله إلّا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلى الله عليه وآله و الإقرار بما جاء به من عند اللّه و حقّ في الأموال من الزّكاة و الولاية الّتي أمر اللّه عزّ و جلّ بها ولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله فإنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال من مات و لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية قال اللّه عزّ و جلّ- أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و أولي الأمر منكم فكان علي عليه السلام ثمّ صار من بعده الحسن ثمّ من بعده الحسين ثمّ من بعده على بن الحسين ثمّ من بعده محمّد بن على ثمّ هكذا يكون الأمر إنّ الأرض لا تصلح إلّا بإمام و من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية و أحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا قال و أهوى بيده إلى صدره يقول حينئذ لقد كنت على أمر حسن (الكليني: ٢١/٢).

إن الواجب على كل مسلم أن يكن في دخائل نفسه الولاء للأئمة الطيبين الذين هم مصدر النور في الأرض، و من أظهر الولاء لهم الأخذ بما أثر عنهم من الاحكام و قواعد الأخلاق و الآداب. من هذا الحديث نعرف أن أصل التشيع هو نفس الإسلام الخالص، أي إن الحياة وفق الرسالة الإلهية (فرديا واجتماعيا) لا تتوفر دون التبعية من الأوامر والأحكام التي قننها الخالق سبحانه وأن التبعية وطاعة أوامر الله لا تتوفر إلا عبر معرفة دين الله وحدوده وإن معرفة دين الله لا تتحق إلا على يد رسول الله صلى الله عليه وآله أو شخص يعينه هو بنفسه وبهذه الطريقة فقط يمكن اعتبار الدين دينا إلهيا وتكون الأعمال الصادرة عن الإنسان بهداية من الله على يد نبي أو وصي، وطبيعي أن عكس هذا الأمر لا يضمن مطابقة وموافقة التصرفات والأعمال الفردية والاجتماعية لما أراده الله وشريعته السمحاء. وفي الحديث المذكور أعلاه فضلت الإمامة على غيرها من الأصول والمبادئ لأنها الضامن

لتطبيق باقي الاحكام والشرائع مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من أحكام نصت عليها الشريعة الإسلامية. في حال كانت قيادة الأمة الإسلامية وحكمها بيد الجهلة والأئمة غير الربانيين فان جميع الأصول الأخرى للدين تضعف واحدة تلوي الأخرى وتصبح بمرور الزمان مندرسة أو منحرفة عن المنهج الحق، كما حدث في العالم الاسلامي طوال التاريخ حيث ابتعد عن الإسلام الصحيح بسبب حدوث مثل هذه المشاكل والعوائق التي تمنع تحكيم شرع الله وقوانينه.

ضرورة معرفة الإمام:

في تعاليم الإمام. تطرح بجانب تعريف ((معرفة الله)) أمور أخرى كأصل تصديق الله عزوجل وتصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك تصديق واتباع الأئمة والحجة المنتظر (عج) وهي أمور تكون بمثابة طريق معرفة الله: لا يكون العبد مؤمنا حتى يعرف الله و رسوله و الائمة كلّهم و امام زمانه و يردّ اليه و يسلّم له كيف يعرف الاخر و هو يجهل الاوّل (الكليني: ١٨٠/١). إن معرفة الأئمة في مذهب الشيعة تحظى بأهمية كبيرة للغاية بحيث تكون ملازمة لمعرفة الخالق سبحانه، ولا يعبد الله سوى من كان ذا معرفة به وبالأئمة، ومن لا يعرف الإمام فإنه في الحقيقة يعبد غير الله.

إن قضية الحجة هي من القضايا المطروحة في تعاليم الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهي بمثابة نقطة اتصال بين تعاليم التوحيد وبين باقي القضايا. وقد أكد الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الكثير من الأحاديث على هذه القضية وبين أن الهداية والمعرفة هما موهبة من الله تعالى.

إن هداية الإنسان ومعرفته لا يتم الحصول عليهما بمجرد أن يبذل الإنسان جهد ويتعب نفسه في سبيلهما، بل إن الله هو من يهدي الإنسان وييسر له سبل نيل المعرفة. (الكليني: ١٦٢/١) ونظرا لأن الهداية والمعرفة تأتيان من قبل الله عزوجل فإنه يكون قد أقام الحجج على عباده، وهذه هي مقدمات إيجاد مفهوم الحجة في عقائد الشيعة ومعتقداتهم. عن هشام بن الحكم عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال للزّنديق الّذي سأله من أين أثبتّ الأنبياء و الرّسل قال إنّا لّما أثبتنا أنّ لنا خالقا صانعا متعاليا عنّا و عن جميع ما خلق و كان ذلك الصّانع حكيما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه و لا يلامسوه فيباشرهم و يباشروه و يحاجّهم و يحاجّوه ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه و عباده و يدلّونهم على مصالحهم و

منافعهم و ما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم- فثبت الآمرون و النّاهون عن الحكيم العليم في خلقه و المعبّرون عنه جلّ و عزّ و هم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم في الخلق و التّركيب في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر و زمان ممّا أتت به الرّسل و الأنبياء من الدّلائل و البراهين لكيلا تخلو أرض اللّه من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته و جواز عدالته. (الكليني: ١٦٨/١).

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام يذكر نوعين من الحجج: العقل و الانبياء: ((حجة الله على العباد النّبي و الحجّة فيما بين العباد و بين الله العقل)) (الكليني:١/ ٢٥). الحجة الظاهرة وهي التي يمكنها أن تقدم للإنسان العلم الذي يحتاجه وتجبر نقصان العقل الذي يفتقر للعلم والمعرفة. إن العقل هو حجة كانت مع الإنسان منذ بداية خلقه، لكن فيما يتعلق بالحجة المكملة - او الحجة بالمعنى الخاص- فإن الحضور الدائم يكون ضرورة وإن فقدانها يعني أن الإنسان يبقى دون هداية أو معرفة. وعلى هذا الأساس نشاهد في أحاديث الإمام هذا الموضوع قد ذكر مرات عديدة ((انّ الارض لا تخلو الاّ و فيها امام)) (الكليني:١/ ١٧٨). وهو نتاج لهذه الفكرة وهي أولا: الأرض لا تخلو من الحجة في كل زمان ومكان، وثانيا ختم النبوة، وهو أساس واضح لشرح مفهوم الحجة في إطار الإمامة. وعلى ذلك فإن الإمامة تكون استمرارا للنبوة في تعاليم الإمام الصادق عليه السلام. وبناء على ذلك فإن الإمام الصادق عليه السلام يتطرق إلى ذكر الوجوه المشتركة بين النبي والإمام من جانب ومن جانب آخر يذكر ويشرح درجات الانبياء وطبقاتهم، وقد رويت عنه تعاليم واحاديث في هذا الخصوص: عن هشام بن سالم و درست بن أبي منصور عنه قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام: ((الأنبياء و المرسلون على أربع طبقات فنبي منبّأ في نفسه لا يعدو غيرها و نبي يرى في النّوم و يسمع الصّوت- و لا يعاينه في اليقظة و لم يبعث إلى أحد و عليه إمام مثل ما كان إبراهيم عليه السلام على لوط عليه السلام و نبي يرى في منامه و يسمع الصّوت و يعاين الملك و قد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا كيونس عليه السلام قال اللّه ليونس- وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يزِيدُونَ (الصافات / ١٤٧) قال يزيدون ثلاثين ألفا و عليه إمام و الّذي يرى في نومه و يسمع الصّوت و يعاين في اليقظة و هو إمام مثل أولي العزم و قد كان إبراهيم عليه السلام نبيا و ليس بإمام حتّى قال اللّه- إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيتِي - فقال اللّه - ﴿لا ينالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/ ١٢٤) من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما)).(الكليني / ج١، ص١٧٥).

وعلى كل فإن وجود بعض الصفات كالتعيين والاختيار من جانب الله سبحانه وتعالى، وامتلاك العلم اللدني و وجوب الطاعة هي صفات مشتركة بين حجج الله - سواء من الأنبياء او الأئمة - كما يذكر وجود فرق وتفاوت بين الأنبياء والأئمة كطريقة تلقي الوحي. وكان الإمام يعتقد إن المعجزة هي طريقة إثبات النبوة وإن معجزة النبي صلى الله عليه وآله كانت تتماشى مع الظروف التي بعث فيها حيث كان فن البلاغة والخطاب منتشرا على مستوى وسيع في شبه الجزيرة العربية ويحظى باهتمام كبير من الناس في ذلك العصر: ((انّ الله لم يبعث قطّ نبيا الاّ بما هو أغلب على أهل زمانه فبعث موسي بن عمران إلى قوم كان الاغلب عليهم السحر فأتاهم بما ضلّ معه سحرهم من العصا و اليد و الجر و... و بعث محمدا في زمان اغلب الامور على أهله الكلام و الكهنة و السجع و الخطب فبعثه بالقرآن المبين و المحاورة)) (يعقوبي:٣٤/٢)

و قال ابا عبدالله عليه السلام: ((إنّكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا و لا تعرفوا حتى تصدّقوا و لا تصدّقوا حتى تسلّموا أبوابا أربعة[1] لا يصلح أوّلها إلاّ بآخرها ضلّ أصحاب الثّلاثة و تاهوا تيها بعيدا إنّ اللّه تبارك و تعالى لا يقبل إلاّ العمل الصّالح و لا يقبل اللّه الاّ الوفاء بالشّروط و العهود فمن وفي للّه عزّ وجلّ بشرطه و استعمل ما وصف في عهده نال ما عنده و استكمل ما وعده إنّ اللّه تبارك و تعالى أخبر العباد بطرق الهدي وشرع لهم فيها المنار و أخبرهم كيف يسلكون فقال ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (طه / ٨٢) و قال ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة/ ٢٧) فمن اتّقي اللّه فيما أمره لقي اللّه مؤمنا بما جاء به محمّد صلوات الله و سلام عليه هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا و ظنّوا أنّهم آمنوا و أشركوا من حيث لا يعلمون إنّه من أتي البيوت من أبوابها اهتدي و من أخذ في غيرها سلك طريق الرّدي وصل اللّه طاعة ولي أمره بطاعة رسوله و طاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع اللّه و لا رسوله و هو الإقرار بما أنزل من عند اللّه عزّ و جلّ ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الاعراف / ٣١) و التمسوا البيوت الّتي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (النور / ٣٦) فإنّه أخبركم أنّهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ

وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور / ٣٧) إنّ اللّه قد استخلص الرّسل لأمره ثمّ استخلصهم مصدّقين بذلك في نذره فقال ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (الفاطر/٢٤) تاه من جهل و اهتدي من أبصر و عقل إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج / ٤٦) و كيف يهتدي من لم يبصر و كيف يبصر من لم يتدبّر اتّبعوا رسول اللّه و أهل بيته و أقرّوا بما نزل من عند اللّه و اتّبعوا آثار الهدي فإنّهم علامات الأمانة و التّقي و اعلموا أنّه لو أنكر رجل عيسي ابن مريم عليه السلام و أقرّ بمن سواه من الرّسل لم يؤمن اقتصّوا الطّريق بالتماس المنار و التمسوا من وراء الحجب الآثار تستكملوا أمر دينكم و تؤمنوا باللّه ربّكم)) (كليني:١/ ١٨٢-١٨٣).

وفي روايت الأخرى الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام الأوصياء طاعتهم مفترضة قال نعم هم الّذين قال اللّه عزّ و جلّ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء /٥٩) و هم الّذين قال اللّه عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة/٥٥) (كليني:١/ ١٨٩).

وقال ابا عبدالله عليه السلام: ((نحن الّذين فرض اللّه طاعتنا لا يسع النّاس الاّ معرفتنا و لا يعذر النّاس بجهالتنا من عرفنا كان مؤمنا و من أنكرنا كان كافرا و من لم يعرفنا و لم ينكرنا كان ضالّا حتى يرجع إلى الهدي الّذي افترض اللّه عليه من طاعتنا الواجبة فإن يمت على ضلالته يفعل اللّه به ما يشاء)) (كليني:١/ ١٨٧) وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ((الصّلاة على و على أهل بيتي تذهب بالنّفاق)) (كليني:٢/ ٤٩٢؛ الصدوق، ثواب الاعمال:١٩٠؛ طبرسي، مكارم الاخلاق: ٣١٢؛ حلي، حسن بن سليمان: ٧٦). عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه جلّ وعزّ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (النساء / ٥٨) قال هي الوصية يدفعها الرّجل منّا إلى الرّجل (قاضي نعمان: شرح الاخبار، ٥٤؛ الصفار القمي: ٣٩٦/٢).

عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه جلّ و عزّ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ (نحل /٨٤) قال لكلّ زمان و أمّة شهيد إمام تبعث كلّ أمّة مع إمامها (استر آبادي، صلى الله عليه وآله ٢٦٣؛ القمي،

التفسير:١/ ٣٨٨؛ طبرسي: مجمع البيان، ٣/ ٣٧٨)؛ وعن مفضّل بن عمر عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه جلّ وعزّ ﴿هوالَّذي أنزلَ السَّكينَةَ في قلوبِ المُؤمنينَ﴾ (الفتح /٤) قال السّكينة ولاية أميرالمؤمنين على عليه السلام والتسليم له والمؤمنون هم شيعته الذين سكنوا إليه (قاضي نعمان: ٢٤٤/١).

٣. معرفة الله دون معرفة الإمام: إن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قد أكد في مجال معرفة الإمام على الأصلين الأساسين وهما ((النص)) و((العلم)) وكان في استدلالاته وشرحه يعتمد على هذين الأصلين. هذان الأصلان ليسا مقترنيين مع بعضهما البعض فحسب بل إنهما مندمجان مع بعضهما البعض ويسوقان إلى ضرورة القيادة الدينية والمذهبية للمجتمع. ومن هذا المنطلق فان النص يعني انتقال العلم الديني من إمام إلى إمام آخر وهذا العلم محصور لدي الأئمة من آل البيت ومن نسل على عليه السلام، ولا تنقل هذه الإمامة إلا من وصي وإمام لإمام آخر. وعلي ذلك وبناء على معتقد أتباع الإمام جعفر الصادق عليه السلام لا يكون الصادق عليه السلام من آل على فحسب بل إنه شخص معين من آل النبي والعترة الطاهرة وقد تم تعيينه للإمامة من قبل أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وهو يمتلك الشروط اللازمة من الناحية الفطرية والوراثية لإمامة المؤمنين وهدايتهم في جميع القضايا المذهبية. والتأكيد على الجانب العلمي من شخصية الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو نتيجة طبيعية للإجابات على متطلبات الوضع والأحداث التي كانت سائدة في عصره. هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي عرف عنها الجهود والمحاولات المستمرة للوقوف على حقيقة الأحاديث ومعانيها التي تدل عليها، كما بذلت جهود لرسم نظام عام للحياة الصالحة والبعيدة عن المعاصي والذنوب في الاسلام. وهذه المساعي بذلت من أجل تدوين نظام كامل للشريعة الاسلامية وفي منهج الإمام لم تكن هناك ضرورة أن يقوم الإمام المعين من قبل النبي الأكرم صلوات الله و سلام عليه بالثورة من أجل تسلم الحكم والقيادة السياسية، وحسب رؤية الإمام كان مقام الإمام أعلي من مقام الحاكم وأن الحاكم ينبغي ان يطيع الإمام بصفته ذا سلطة مذهبية أعلي منه.

قال ابو عبدالله: ((من دان اللّه بغير سماع عن صادق ألزمه اللّه البتّة إلى العناء و من ادّعي سماعا من غير الباب الّذي فتحه اللّه فهو مشرك و ذلك الباب المأمون على سرّ اللّه المكنون)) (الكليني: ١/ ٣٧٧) و قال: انّ الله جعل ولايتنا اهل البيت قطب القرآن و قطب

الجميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن و بها نوّهت الكتب و يستبين الايمان (العياشي:١/ ١٧) و قال: أبي اللّه أن يجري الأشياء إلّا بأسباب فجعل لكلّ شيء سببا و جعل لكلّ سبب شرحا و جعل لكلّ شرح علما و جعل لكلّ علم بابا ناطقا عرفه من عرفه و جهله من جهله ذاك رسول اللّه صلى الله عليه وآله و نحن)) (الكليني:١/١٨٣؛ الصفار القمي:١/٣٢) و عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد اللّه عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمّة عليهم السلام و صفاتهم إنّ اللّه عزّ و جلّ أوضح بأئمّة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه و أبلج بهم عن سبيل منهاجه و فتح بهم عن باطن ينابيع علمه فمن عرف من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه و علم فضل طلاوة إسلامه لأنّ اللّه تبارك و تعالى نصب الإمام علما لخلقه و جعله حجّة على أهل موادّه و عالمه و ألبسه اللّه تاج الوقار و غشّاه من نور الجبّار يمدّ بسبب إلى السّماء لا ينقطع عنه موادّه و لا ينال ما عند اللّه إلّا بجهة أسبابه و لا يقبل اللّه أعمال العباد إلّا بمعرفته فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدّجى و معمّيات السّنن و مشبّهات الفتن فلم يزل اللّه تبارك و تعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كلّ إمام يصطفيهم لذلك و يجتبيهم و يرضى بهم لخلقه و يرتضيهم كلّما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما علما بينا و هاديا نيرا و إماما قيما و حجّة عالما أئمّة من اللّه يهدون بالحقّ و به يعدلون حجج اللّه و دعاته و رعاته على خلقه يدين بهديهم العباد- و تستهلّ بنورهم البلاد و ينمو ببركتهم التّلاد جعلهم اللّه حياة للأنام و مصابيح للظّلام و مفاتيح للكلام و دعائم للإسلام جرت بذلك فيهم مقادير اللّه على محتومها فالإمام هو المنتجب المرتضى و الهادي المنتجى و القائم المرتجى اصطفاه اللّه بذلك و اصطنعه على عينه في الذّرّ حين ذرأه و في البرية حين برأه ظلّا قبل خلق نسمة عن يمين عرشه محبوّا بالحكمة في علم الغيب عنده اختاره بعلمه و انتجبه لطهره بقية من آدم عليه السلام و خيرة من ذرّية نوح و مصطفى من آل إبراهيم و سلالة من إسماعيل و صفوة من عترة محمّد صلى الله عليه وآله لم يزل مرعيا بعين اللّه يحفظه و يكلؤه بستره مطرودا عنه حبائل إبليس و جنوده مدفوعا عنه وقوب الغواسق و نفوث كلّ فاسق مصروفا عنه قوارف السّوء مبرأ من العاهات محجوبا عن الآفات معصوما من الزّلّات مصونا عن الفواحش كلّها معروفا بالحلم و البرّ في يفاعه منسوبا إلى العفاف و العلم و الفضل عند انتهائه مسندا إليه أمر والده صامتا عن المنطق في حياته فإذا انقضت مدّة والده إلى أن انتهت به مقادير اللّه إلى مشيئته و جاءت الإرادة من اللّه فيه إلى محبّته و بلغ منتهى مدّة والده عليه السلام

فمضى وصار أمر اللّه إليه من بعده و قلّده دينه و جعله الحجّة على عباده و قيمه في بلاده و أيده بروحه وآتاه علمه و أنبأه فصل بيانه و استودعه سرّه و انتدبه لعظيم أمره و أنبأه فضل بيان علمه ونصبه علما لخلقه و جعله حجّة على أهل عالمه و ضياء لأهل دينه والقيم على عباده رضي اللّه به إماما لهم استودعه سرّه واستحفظه علمه واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وانتدبه لعظيم أمره وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل وتحيير أهل الجدل بالنّور السّاطع والشّفاء النّافع بالحقّ الأبلج والبيان اللّائح من كلّ مخرج على طريق المنهج الّذي مضى عليه الصّادقون من آبائه عليهم السلام فليس يجهل حقّ هذا العالم إلّا شقي ولا يجحده إلّا غوي ولا يصدّ عنه إلّا جري على اللّه جلّ و علا (الكليني: ١/٢٠٣-٢٠٥).

وفق أقوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام فإن علم الأئمة المعصومين له جذور إلاهية كما يحيى بن عبد اللّه بن الحسن قال سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يقول و عنده ناس من أهل الكوفة ((عجبا للنّاس يقولون أخذوا علمهم كلّه عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله فعملوا به و اهتدوا ويرون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه و لم نهتد به و نحن أهله و ذرّيته في منازلنا أنزل الوحي ومن عندنا خرج إلى النّاس العلم أ فتراهم علموا و اهتدوا و جهلنا و ضللنا إنّ هذا محال)) (مجلسي: ١٧٩/٢). و عن عبد الرّحمن بن كثير قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول نحن ولاة أمر اللّه و خزنة علم اللّه و عيبة وحي اللّه. (الصفار القمي:١٣٨/١؛ الكليني:١٩٢/١) و قال ((انّا أهل بيت لم يزل الله يبعث منّا من يعلم كتابه من اوّله إلى آخره)) (مجلسي:٢٠٧/٩٢). عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم. كما هناك قائمة من الأحاديث المنقولة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حول الإمامة ودائرة علمهم، وهناك جانب كبير من هذه الأحاديث يتطرق إلى أثبات إمامة الأئمة عبر النص والنقل وأن طاعتهم واجبة وفرض عين على كل مسلم. قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((الأئمّة بعدي اثنا عشر، أوّلهم على بن أبي طالب و آخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي و أوليائي وحجج اللّه على أمّتي بعدي، المقرّ بهم مؤمن و المنكر لهم كافر)) (راجع: الصدوق: علل الشرايع، ١٩٦؛ من لا يحضره الفقيه، ١٧٩/٤؛ كمال الدين، ٢٥٩/١؛ الطبرسي: الاعلام الوري باعلام الهدي، ١٧٣/٢؛ اربلي:٥٠٧/٢).

إن الإمام الصادق عليه السلام اعتبر محبة أمير المؤمنين وموالاته واتباع الأئمة المعصومين عليهم السلام من شروط معرفة الله، ذلك أن أعمال وعبادات المسلمين لا يجزون ولا يثابون عليها دون الإيمان والاعتقاد بمبدأ الولاية. وإذا لم يقصد الإمام تحديد المقام الكامل لمعرفة الله لم

يتطرق إلى هذا الشرط واكتفي حينها بتحديد درجة معرفة الله على علم واستعداد اصحابه وطاقاته الفكرية والعقلية، في نظرية الإمام يتم التأكيد في تعاليمه على قضية النص، وكان يتوجب على الإمام صادق عليه السلام أن يثبت أولا نصية أمر الإمام وانتقالها من النبي إلى الإمام على عليه الإسلام ومنه إلى باقي الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ لهذا يقوم الإمام بتبين وشرح آيات من القرآن الكريم التي نزلت حول موضوع ولاية أمير المؤمنين على عليه السلام.

٤. كيفية علم الإمام: عن مصادر العلم عند الائمه عليهم السلام هناك نظر يقابل ارا الغلاة والمفوضة وهو أن الأئمة هم المرجع في تفسير الشريعة وذلك حسب ما حظوا من علم آبائهم والتي توارثوه منهم (مراجع: قاضي نعمان: دعائم الاسلام، ٦٤/١؛ مجلسي: ٢٦/ ٢٢-٢٥، ٣٣-٥٣). وهناك آخرون يرون أن الإمام عليه السلام في كل عصر يسخرج القضايا الراهنة في عصره عن طريق استنباط الفروع من الأصول وهو على اساس القواعد والكليات الموجوده في تلك الكتب مصيب(في أعماله وأفعاله وأقواله) اما حفظ الله الامام من الوقوع في الأخطاء فيما يتعلق بأحكام الشريعة فلذا يجب اطاعته من قبل الجميع هذا وقد اعتقد بعض أصحاب الاماميه بإمكانية اكتساب العلم عن طريق المعجزات. (مراجع: صفار: ٣٨٧؛ نوبختي: ٧٦؛ اشعري قمي، سعد بن عبدالله: ٩٥-٩٦، ٩٨-٩؛ الكيني:١/ ٣٢، ٣٨٣-٣٨٤؛ المفيد: الارشاد، ٣١٧-٣١٩)

وفق أقوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام فإن علم الأئمة المعصومين له جذور إلاهية كما يحيى بن عبد اللّه بن الحسن قال سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يقول و عنده ناس من أهل الكوفة ((عجبا للنّاس يقولون أخذوا علمهم كلّه عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله فعملوا به و اهتدوا ويرون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه و لم نهتد به و نحن أهله و ذرّيته في منازلنا أنزل الوحي ومن عندنا خرج إلى النّاس العلم أ فتراهم علموا و اهتدوا و جهلنا و ضللنا إنّ هذا محال)) (مجلسي: ٢/ ١٧٩). وعن عبد الرّحمن بن كثير قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول نحن ولاة أمر اللّه وخزنة علم اللّه وعيبة وحي اللّه. (الصفار القمي: ١/ ١٣٨؛ الكليني:١/ ١٩٢) و قال ((انّا أهل بيت لم يزل الله يبعث منّا من يعلم كتابه من اوّله إلى آخره)) (مجلسي:٩٢/ ٢٠٧) و عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه سأله عن قول اللّه عزّ وجلّ- ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر ما الزّبور و ما الذّكر قال الذّكر عند اللّه والزّبور الّذي أنزل على داود و كلّ كتاب نزل فهو عند أهل العلم و نحن هم (الكليني: ٢٢٥/١؛ الصفار القمي: ٢٧٩/١ و الآية

في الانبياء /١٠٥). و قال ابو عبدالله ((نحن اهل الذّكر و نحن المسؤولون و نحن الرّاسخون في العلم و نحن نعلم تأويله)) و في رواية الأخرى قال الصادق عليه السلام: ((انّ العلماء ورثة الانبياء و ذاك أنّ الانبياء لم يورثوا درهما و لا دينارا و انّما اورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّا وافرا فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فانّ فينا اهل البيت في كلّ خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

٥. الاعتقاد بضرورة طاعة الإمام والتبعية منه: من مستلزمات الاعتقاد بنظرية الإمامة الإلهية التي عرضها الإمام الصادق عليه السلام هي أن الإمام المعصوم باعتباره القائد الواجب الطاعة في أمر الشريعة والفقه يجب أن يكون المرجع الوحيد في فهم الأحاديث وشرحها ولا قيمة لشروح الأخرى التي تأتي من غيره ولا تعتبر حجة على الناس، إضافة على كل ذلك فإن الإمامة هي أصل من أصول الدين الإسلامي وأن الأصول والمبادئ الأخرى تأخذ معناها ويتم تفسير عبر مبدأ الإمامة وأصل الولاية الإلهية.

٦. أهل البيت عليهم السلام لدي الإمام الصادق عليه السلام: لقد أدي الإمام الصادق عليه السلام دورا هاما في تعريف الناس بمقام آل البيت عليهم السلام ومكانتهم الحقيقية، وقام بهذا الدور بعد الصادق عليه السلام ابنه الإمام الكاظم عليه السلام. قام الصادق عليه السلام بالاستناد إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تطرقت إلى موضوع ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بإثبات خلافة الإمام على عليه السلام للرسول الأعظم صلوات الله و سلام عليه من جانب ومن جانب آخر قام بتبيين وشرح جوانب من مفاهيم الولاية التي لم يكن شرحها ممكنا في العصور التي سبقت الإمام الصادق عليه السلام. لقد بذل الإمام الصادق عليه السلام جهدا كبيرا في بيان أهمية المكانة التي يحتلها أهل البيت عليهم السلام من الناحية العقائدية، وقد نقل عنه في الروايات الثابتة له: قال رسولالله صلّيالله عليه و آله: أنا سيد النبيين و وصيي سيد الوصيين و أوصياؤه سادة الاوصياء (الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٤/ ١٧٤) و قال: نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الانفال و لنا صفو المال و نحن الرّاسخون في العلم و نحن المحسودون الّذين قال الله: أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله (مراجع: الكليني: ١/ ١٨٦؛ العياشي:١/ ٢٤٧؛ المفيد: المقنعه، ٢٨٨؛ طبرسي: مجمع البيان، ٦١/٢ و الآية في النساء، آيه٥٤) و عن حمران بن أعين قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الأئمّة فقال من أنكر واحدا من الأحياء فقد أنكر الأموات (نعماني: ١٢٩).

فباعتقاده ان طاعة الشخص الذي يلقي بنفسه في العناء والتعب في سبيل الله لكن دون أن يكون إماما من عند الله غير مقبولة وإن النتيجة الطبيعية لهذه الأقوال والآراء هو هداية الناس وسوقهم نحو آل البيت عليهم السلام ونشر الوعي لديهم تجاه ظلم وإضطهاد الولاة والحكام الذين كان يسوسون الناس في زمانهم. عن عمّار السّاباطي عن أبي عبد اللّه عليه السلام لا يترك الأرض بغير إمام يحلّ حلال اللّه و يحرّم حرامه و هو قول اللّه يوم ندعوا كلّ أناس بإمامهم ثمّ قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية فمدّوا أعناقهم و فتحوا أعينهم فقال أبو عبد اللّه عليه السلام ليست الجاهلية الجهلاء فلمّا خرجنا من عنده فقال لنا سليمان هو و اللّه الجاهلية الجهلاء و لكن لّما رآكم مددتم أعناقكم و فتحتم أعينكم قال لكم كذلك.(مجلسي: ٨ / ١٢) و قال: لكلّ زمان و امّة امام تبعت كلّ امّة مع امامها (مجلسي: ٧/ ٣٠٨) و قال: انّ الائمة في كتاب الله عزّوجلّ امامان. قال الله تبارك وتعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ لا بأمر النّاس يقدّمون أمرالله قبل أمرهم وحكم الله قيل حكمهم. قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يقدّمون أمرالله قبل أمرهم و حكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّوجلّ)) (الكليني: ٢١٦/١ والآية في الانبياء /٧٣، قصص /٤١). و قال الصادق في الحكومة الدينيه: ((لا و الله ما فوّض الله إلى أحد من خلقه الاّ رسول الله و إلى الائمة قال انّا انزلنا اليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاس بما أراك الله و هي جارية في الاوصياء عليهم السلام)) (الكليني:٢/ ٨. و الآية في النساء، آيه١٠٥). و قال: ((ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيا قطّ الاّ بها)) (كشي: ٤٣٧) عن المفضّل أنّه كتب إلى أبي عبد اللّه عليه السلام فجاءه هذا الجواب من أبي عبد اللّه عليه السلام أمّا بعد فإنّي أوصيك و نفسي بتقوى اللّه و طاعته فإنّ من التّقوى الطّاعة والورع والتّواضع للّه والطّمأنينة والاجتهاد والأخذ بأمره والنّصيحة لرسله والمسارعة في مرضاته واجتناب ما نهى عنه فإنّه من يتّق فقد أحرز نفسه من النّار بإذن اللّه و أصاب الخير كلّه في الدّنيا والآخرة... تبارك اللّه تعالى إنّما أحبّ أن يعرف بالرّجال و أن يطاع بطاعتهم فجعلهم سبيله و وجهه الّذي يؤتى منه لا يقبل اللّه من العباد غير ذلك لا يسئل عمّا يفعل و هم يسئلون فقال فيمن أوجب من محبّته لذلك ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (الصفار القمي:٥٣١؛ و الآية في سوره نساء، آيه٨٠)

٧. تأثير فكرة الإمامة على الشيعة: يعتبر الشيعة الأئمة ذات معصومية من الله وأن لديهم علما إلاهيا وإنهم القادة الحقيقيون في المجتمع ويجب طاعتهم والسير على منهجهم؛ لهذا فإن العلاقة بين الشيعة والأئمة تختلف كل الاختلاف عن أئمة المذاهب الأخرى وأتباعهم، ومن جانب آخر ساهم هذا الاعتقاد بأن يقوم الشيعة بكل جهد وإيمان في جمع أحاديث وأقوال أئمتهم والاحتفاظ بها، كما إن الميل نحو كتابة أصول الفقه والأحكام ظهر لدي الشيعة أسرع من ظهوره لدي أتباع المذاهب والنحل الأخرى؛ ذلك أن اعتقاد الشيعة بعصمة الائمة جعلهم يسرعون في تدوين فتاويهم وأقوالهم في أصول وأحكام الشريعة الإسلامية وقوانينها، إضافة على كل ذلك فإن الإمامة والولاية كانت بمثابة العروة الوثقي التي يتمسك بها الشيعة ويتحدوا في ما بينهم من خلال التمسك بها ويحصنون أنفسهم من الزيغ والانحراف، فالإمامة كانت بمثابة السند الذي يعتمدون عليه في الظروف الصعبة والمراحل العصيبة التي مر بها الشيعة طوال تاريخهم. وفي ختام موضوع الإمامة ينبغي القول أنه: يمكن تقييم نجاح الإمام الصادق عليه السلام في تثبيت وتبيين مقامه كإمام معصوم من زاويتين؛ الأولى من جهة الأنصار الذين استطاع أن يجمعهم حوله.

رغم ان الآراء النظرية للشيعة الاثنى عشرية حول الإمامة قد تم وضعها وتنظيمها بدايات القرن الهجري الثاني، لكن وفي العودة إلى تاريخ الشيعة في القرن الأول الهجري يتبين لنا أنه وقبل ان يتم طرح والدفاع عن هذه المعتقدات باعتبارها أصلا كلاميا في المحافل والأوساط العلمية فإنها كانت مترسخة في عقول الشيعة في القرن الأول الهجري. لهذا فإن الشيعة الاثنى عشرية لم يكونوا يرون في الحكم الأموي والعباسي حكما مشروعا وكانوا يعتقدون أن من واجبهم مواجهة هذه السلطة السياسية الحاكمة والنضال ضدها.

وهذه المواقف والمعتقدات هي التي قد أقلقت الحكام ولاسيما الخلفاء بشكل كبير، وقد كان الخلفاء العباسيون يظهرون حساسية كبيرة لكل تحرك من جانب أئمة الشيعة أو الشيعة الإمامية، وكانت هذه الحساسية تفوق الحالات المشابهة التي يكون فيها مخالفي بني العباس من غير الشيعة. وكانوا يقومون باعتقال الأئمة وسجنهم وتعذيبهم دون حجة أو برهان، ويقتلون أتباعهم بحجج واهية وتهم كالغلو والاعتقاد بالرفض.

الغـلاة:

تعتبر قضية الغلو وخطاب التطرف ذات جذور سياسية واجتماعية وثقافية في المجتمعات الإسلامية وتاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية، وقد قدمت الكثير من الآراء والنظريات حول منشأ هذه الظاهرة وجذورها من قبل علماء الاجتماع وعلماء النفس و.... لقد كان الغلاة أخطر الجماعات التي ظهرت في عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وقد أدي هذا التزامن في الظهور مع الإمامين الباقر والصادق أن يقوم الإمام جعفر الصادق وأبيه الإمام الباقر عليهما السلام بمواجهة هؤلاء الغلاة والتصدي لأفكارهم المنحرفة. وكما توضح سيرة الإمامين فإن أكثر الجماعات التي تعرضت لنقد ومهاجمة الإمامين هي جماعة الغلاة والمتطرفين، وهذا بحد ذاته يبين دور الغلاة في حرف وتشويه عقائد المسلمين.

الغلو يعني الافراط وتجاوز الحدود في أمر معين (الراغب الاصفهاني: ٣٦٥)، ورغم إن التعدي يعني الإفراط أيضا إلا إننا وإذا أردنا القول أن التعدي والإفراط وصل إلى مرحلة مرتفعة فاننا نستخدم مفرد الغلو بدل التعدي (ابن المنظور: ١١٣/١٠). قال الشيخ المفيد رحمه الله الغلو في اللغة هو [التجاوز عن الحد] والخروج عن القصد. قال الله تعالى ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الآية فنهي عن تجاوز الحد في المسيح و حذر من الخروج عن القصد في القول و جعل ما ادعته النصاري فيه غلوا لتعديه الحد على ما بيناه و الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهية و النبوة و وصفوهم من الفضل في الدين و الدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد و خرجوا عن القصد و هم ضلال)). (المفيد: التصحيح الاعتقادات الاماميه، ١٣١ و مضمون الآية في النساء/١٧١).

لماذا مال البعض إلى الغلو في تقديس أهل البيت عليهم السلام؟ إن الضغط والاضطهاد في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية الناتج عن سياسات الخلفاء العباسيين مهّد بشكل طبيعي إلى تكوين ظاهرة الغلوة والتطرف في المجتمع. من هذه السياسات نذكر:

١- سياسة سب ولعن الإمام على بن أبي طالب عليه السلام: قد ظهرت هذه السياسة في عهد معاوية وغيره من الخلفاء الأمويين وبعد ذلك استمرت وازدهرت في عهد العباسيين (اليعقوبي: ١٥٢/٢، ١٦٢؛ المسعودي: ٣٦/٢).

٢- تبرير الظلم والاضطهاد التي يتعرض له الشيعة وأتباع الائمة المعصومين: قد كان الشيعة لا يعتقدون بمشروعية أي حكومة في زمانهم، ولهذا فهم يعرفون موقفهم ونضالهم تجاه السلطة السياسية وهذا ما أدي إلى قلق الكثير من الحكام لاسيما الخلفاء. رغم أن الحكام والخلفاء قد نسبوا هذه الأفكار والفرق إلى الشيعة إلا أن المعارضين السياسيين للشيعة يحاولون أن يتمسكوا بأي ذريعة من أجل تشويه هذا التيار المناضل في التاريخ الإسلامي، بعبارة أخرى فإن الكثير من الفرق الغالية والمتطرفة كانت صنيعة الحكام والسلطة السياسية في زمن الأئمة وكانت الغاية من ذلك هو تشويه المذهب الشيعي الذي كان يكافح السلطة الحاكمة آنذاك، وبربط الغلو بالشيعة قاموا بإجراء محاكمات أتباع آل البيت عليهم السلام واعتبروا أفكارهم وعقائدهم مخالفة للدين الإسلامي وهكذا يقومون بحجج واهية كالغلو والرفض باعدامهم وقتلهم. كان عمال وولاة بني أمية الذين يعتبرون أنفسهم ممثلين للدين وخلفاء للنبي الأعظم يقومون بإبعاد أصحاب الأئمة الحقيقيين وتهميشهم بعد أن رأوا أنهم يقفون بوجه سياساتهم وفي سبيل ذلك يحاول الحكام أن يظهروا أفعالهم هذه بمظهر الدين والهواجس التي توجد في هذا المجال. إن فرضية قيام بني أمية بوضع أحاديث وأقوال غالية على لسان أصحاب الأئمة المعصومين من أجل القضاء عليهم هي فرضية قابلة للتأمل وقد تكون صحيحة وإن الميل نحو الغلو والتطرف لم يرفع من مقام الأئمة بل إنه كان سببا في قمع الشيعة على يد السلطة الحاكمة في زمانهم وهذا الأمر كان نجاحا كبيرا لسياسة الخلفاء والحكام في ذلك الزمان.

٣- إبعاد النماذج الدينية المعتدلة: إن أهم الطرق المؤثرة لتهميش وإقصاء الوجوه البارزة في مذهب ما هو إلا تصويرها بشكل غير طبيعي، فالقرآن الكريم اعتبر الأنبياء نماذجا إنسانية ومن أجل حفظ هذا الدور للأنبياء يحاول إفهام هذه القضية إلى الناس ألا وهي أن الأنبياء من جنس البشر وأن احتياجاتهم هي نفس احتياجاب البشر الآخرين، ومن وجهة نظر القرآن الكريم فإن الميزة التي تميز الأنبياء عن غيرهم من البشر هو الجهد والمحاولة المستمية من جانبهم من أجل نيل الفضائل ولهذا تم اختيارهم من الله تعالى ليكونوا أئمة وهداة للبشرية.

٤- انعدام الطاقات المعنوية بين شرائح المجتمع: أيضا من أسباب الجنوح نحو الغلو والإفراط هو فقدان الطاقات المعنوية بين شرائح المجتمع، فإن الشرائح العامة في المجتمع والتي غالبا ما تكون غير متعمقة في القضايا والمسائل الفلسفية عرضة لظاهرة الغلو وهي عامل أساسي في نشر هذه الظاهرة والتأثر بها. إن استيعاب الكرامات الروحية والأخلاقية للعظماء لم يكن بالأمر السهل على بعض الناس في المجتمعات. يري ابن أبي الحديد أن أحد أسباب الغلو حيال الإمام على عليه السلام هو شخصية الإمام نفسه والقدرة التي أظهرها في الحرب في حياة الرسول الأعظم، وكذلك الخطب والأقوال التي يخبر على عليه السلام فيها عن أحداث المستقبل وما سوف يقع في قادم الأيام مثل هزيمة الخوارج ومقتلهم جميعا باستثناء عدد قليل منهم قرابة العشرة أشخاص فقط(نهج البلاغة: الخطبة ٥٩)، فهذا القضايا لم يتمكن البعض من فهمها واستيعابها وراحوا بسببها يغلون في نظرتهم إلى الإمام على عليه السلام ويطلقون عليه صفات إلاهية بعد رؤيتهم لشجاعته وعلمه وقدرته، ويصدق هذا الأمر على المعجزات والكرامات التي تظهر من الأئمة المعصومين، ويرجع البعض تاريخ بدء الغلو لدي الشيعية إلى شخصية تاريخية مجهولة تدعي عبدالله ابن سبأ[٢]، لكن يمكن تقديم الكثير من الأدلة والشواهد على أن هذه الروايات هي روايات جعلية وتم وضعها من أعداء آل البيت لأهداف وأغراض سياسية، وأهم هذه الشواهد والبراهين هي المنافسات السياسية والمذهبية التي كانت رائجة بين المسلمين في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري. لقد نشأت محبة خاصة للأئمة وآل البيت منذ عهد الإمام على عليه السلام وقد اتسع نفوذ الشيعة في العراق وبعض المناطق الأخرى، لكن وبسبب الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية والعقائدية في المجتمعات الإسلامية في النصف الأول من القرن الهجري الأول وحتي استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كان المناخ مناسبا لظهور ونمو الأفكار الغالية والعقائد المتطرفة. لا يمكن أن نشك في وجود ظاهرة الغلو في التاريخ الإسلامي وإن الفرق التي اعتنقت الغلو والتطرف بعد ظهور الفرقة الكيسانية في العراق لم تكن بالقليلة وإن الأضرار التي لحقت بالمذهب الشيعي بعد ظهور هذه الأفكار الغالية وتحذير القرآن الدائم والأئمة الأطهار من هذه الظاهرة الخطيرة ومحاولة التصدي لها كلها تكشف

جانبا من حساسية هذا الموضوع وخطورته.

ينقسم الغلاة في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ينقسم الغلاة في عصر الإمام عليه السلام إلى قسمين:

القسم الأول: وهم العامة من الناس والبسطاء من المسلمين الذين تأثروا بالأخلاق السامية والمظهر الجذاب الذي كان يتمتع به الأئمة المعصومون عليهم السلام، ونظرا إلى أن العامة قد توارثوا هذه الأفكار الغالية من آبائهم وأجدادهم وإنها مازالت مترسخة لديهم رغم إسلامهم وإيمانهم فان مشاهدة فضائل الأئمة وأخلاقهم أثرت بشكل كبير على أفكارهم ومعتقداتهم وجعلتهم يغلون في نظرتهم تجاه الأئمة والمعصومين ويتصورن تصورات غير منطقية حيال الأئمة عليهم. يعتقد هذا النوع من الغلاة أن الأئمة قد توارثوا جميع المعجزات والكرامات من جدهم رسول الله صلوات الله و سلام عليه وإنه باستطاعتهم أن يتصرفوا في نظام الكون حتى أن الله بكل عظمته قد ينحل في شخصياتهم، كما إن عدم وجود الفرصة المناسبة لفهم القضايا والمسائل الدينية في تلك الفترة يمكن اعتبارها سببا من أسباب انتشار ظاهرة الغلو والتطرف الفكري وقد رأينا أن الإمامين الصادقين عليهما السلام عندما سنحت الفرصة لهما في أواخر فترة بني أمية وبدايات العصر العباسي قاما بمواجهة هذه الأفكار المتطرفة وسعيا إلى محاربتها والقضاء عليها.

القسم الثاني: من الغلاة هم الأطراف أو الاشخاص الذين تزعموا الفكر المتطرف وغرروا ببعض الناس البسطاء والعامة بسبب الجهل وعدم الوعي الكافي. إن هؤلاء الزعماء والقادة الفكريين ومن أجل الحصول على المناصب الدنيوية والتاثير في نفوس العامة وجمع أنصار ومريدين لهم دلسوا وكذبوا في هذا السبيل وزعموا أنهم مرتبطين بالائمة، في حين أنهم كان يسنبون أشياء غالية للأئمة المعصومين وهم يضعون أنفسهم شركاء الأئمة أو يزعمون أنهم نواب وممثلون لهم بين الناس ليميل الناس إليهم بسبب حسن ظنهم بالأئمة. لكن الأئمة الأطهار عليهم السلام قد تبرأوا من هؤلاء الغلاة أكثر من مرة في أحاديثهم وأقوالهم ولعنوهم بسبب الغلو الذي كانوا يمارسونه.

وفي عصر الصادقين عليهما السلام عندما تبرأ الأئمة من هؤلاء الغلاة رد الغلاة على هذه التبرئة من قبل الأئمة عليهم السلام وقالوا للناس إن هذه التبرئة والقول بكذبهم واحتيالهم

جاءت من باب التقية وليس حقيقة وواقعا. وهكذا كان الصادقان عليهما السلام يسيعان إلى إبعاد الشيعة عن الفكر الغالي المنحرف، ومن خلال تكفير الغلاة يريدان أن يطرداهم من المجتمع الإسلامي. رغم أن الفكر الغالي المتطرف نشأ في البداية بغطاء محبة آل البيت والتقرب إليهم إلا إنه وبسبب مخالفته لتعاليم ومبادئ الإسلام الصحيح وطرده من قبل الأئمة عليهم السلام لم يستطع أن يستمر في الحياة بغطائه الديني، وما جاء في تاريخ هذه الفرقة ما هو إلا تفرعات متوالية إثر انقراض وزوال جماعة منهم. وعلي كل حال فقد كان الغلاة في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام كثيرون وكانوا في تزايد مستمر واستطاعوا أن يسيطروا على عدد من المناطق في المجتمعات الإسلامية. وكان هذا الفكر المتطرف والغالي خطر على مذهب الشيعة من عدة جوانب وكما عرفنا إنه لم يكن هناك مذهب أو جماعة تعرضت لنقد وهجوم الصادقين عليهما السلام كما تعرضت فرقة الغلاة، فقد كان الغلاة يحاولون من خلال خلق أحاديث وتلفيقها أن يستفيدوا من شخصيات الأئمة ومكانتهم وأن يجذبوا نحوهم البسطاء والعامة لتحقيق أهدافهم وغايتهم. من جانب آخر فإن الغلاة ومن خلال وضع الأحاديث والأفكار الغالية يسببون في تعرض الأئمة إلى هجوم ونقد من قبل المعارضين. (الكشي: ٣٢٤).

نفوذ عقائد الغلاة في الأفكار والمعتقدات الكلامية للشيعة:

إن الأصول والمبادئ الغالية هي القاسم المشترك بين جمع فرق ونحل الغلاة والمتطرفين، وغالبية هذه الاصول ترتبط بشكل أو بآخر بموضوع الإمامة وقيادة الأمة الإسلامية وتحمل أبعادا سياسية، فالغلاة والمتطرفون يسعون من وراء نشر هذه الأفكار الغالية إلى تحقيق أغراض ومصالح سياسية، من هذه المواضيع الغالية نذكر موضوع التشبيه والاعتقاد بألوهية الإمام وحلول الله في شخصية الإمام أو القائد والتناسخ والرجعة وكل هذه المواضيع وغيرها كانت سائدة في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام[٣].

التشبيه:

التشبيه في اللغة يعني جعل شيء مثل شيء آخر، وفي اصطلاح علم الكلام يعني تشبيه الله سبحانه وتعالى بالموجودات المحسوسة، وهؤلاء الغلاة يشبهون الله بالإنسان ويحددون له مكان ويصورنه على أن له أعضاء وجسم، وقد سمي هؤلاء الغلاة بالمشبهين لهذا السبب.

والقرآن الكريم قد نفي حدوث أي شبه بين الله وغيره من المخلوقات وقد ذم من يقول بهذا الرأي (راجع: النحل/٧٤، الشوري/١١، الاخلاص/٤) كما إن الروايات قد رفضت هذه القضية وتصدت لأصحابها، وثبتت الكثير من الأقوال للإمام على عليه السلام في نفي الشبه لله سبحانه وتعالى.

الحلول والتناسخ:

إن نظرية حلول روح الله أو نوره في شخصية النبي الأكرم صلوات الله و سلام عليه أو الإمام باعتبارهما جزءا من روح الله أو موضعا لتجلي نور الله وانعكاسه هي من ضمن النظريات التي يؤمن بها الغلاة، ويعتقدون أن الحلول كان موجودا منذ عهد نبي الله آدم عليه السلام وانتقل منه إلى سائر الأنبياء والأئمة، وقد نشأت هذه النظرية والعقيدة منذ بدايات القرن الثاني الهجري متأثرة بجماعة الكيسانية لاسيما فرقة السمعانية والبيانية. والحلول في اللغة يعني انحلال شيء في شيء آخر بحيث يتعلق الشيء الأول بالشيء الثاني (مصاحب: ذيل المفردة). يعتقد الغلاة والمتطرفون الفكريون أن روح الله أو جزء منها تنحل في روح شخص آخر كالنبي أو الإمام بحيث يقام بينهما اتحاد ووحدة كاملة. وبعض الفرق الإسلامية تعتقد أن الأئمة ومن خلال حلول روح الله فيهم ونوره استحقوا مقام الإمامة،كما إن جدارة نبي الله آدم لسجود الملائكة كان سببها حلول روح الله في آدم عليه السلام.

إن التناسخ مأخوذ من مفردة النسخ بمعني محو وزوال شيء على يد شيء آخر يأتي من بعده (راغب اصفهاني: ٤٩٠). وفي علم الكلام والفلسفة يعني هذا المصطلح الاعتقاد بانتقال الروح من بدن إلى بدن آخر في عالمنا المادي الذي نعيش فيه (الشهرستاني: ٥٥/٢). يري الشيخ الصدوق أن عقيدة التناسخ هي عقيدة باطلة ويفرض الإيمان بها بطلان الجنة والنار (الصدوق: الاعتقادات، ٧٧)؛ وقد وصف الغلاة الذين يعتقدون بهذه القضية بأنهم كفار، لكن ومع الأسف الشديد فإن الاعتقاد بالتناسخ يبدو جليا في مضامين بعض الروايات والأحاديث المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام وقد وضعت أحاديث تروي كذبا وتلفيقا عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه بين أن سبب حرمة أكل لحم الخنزير والقرد والدب هو تناسخ أفراد في قالب هذه الحيوانات (الصدوق: الامالي، ٦٦٦). وقد روي أيضا عن الإمام جعفر الصادق أنه تكلم مع ضفدعة نسخت بسبب الثناء على عثمان وسب أمير المؤمنين

عليه السلام (الصفار القمي: ٤٦/٢؛ ابن رستم الطبري: ٩٩). وتعريف حيوانات مثل الفيل والأرنب والدب والخنزير والقرد و... باعتبارها أناسا تم تناسخهم ومسخهم، وهناك الكثير من الروايات من هذا القبيل (مراجع: الصدوق: العلل الشرايع، ٤٣٩/٢، ٤٤٣، ٤٤٥؛ المفيد: الاختصاص، ١٣٦-١٣٨؛ المزي: ٣٩/٩-٤٠). ويبدو أن اثبات فرضية تأثير الاعتقادات الغالية في الروايات الموضوعة على لسان الائمة رغم وجود تناقض صريح مع التعاليم القرآنية وتكذيب علماء الشيعة ورفضهم لها واعتبار من يعتقد بها كافرا خارج من الملة الإسلامية يصبح سهلا وأمرا يسيرا للغاية (الصدوق، الامالي، ٤٤٠).

الرجعة:

الرجعة لغة تعني العودة، وفي المذهب الكلامي الشيعي يعني الاعتقاد بعودة الأموات إلى هذه الدنيا بعد ظهور الإمام القائم (عج) وقبل قيام الساعة. وهناك فرق أساسي في قضية الاعتقاد بالرجعة بين الشيعة وبين الغلاة والمتطرفين (الصدوق: كمال الدين وتمام النعمه، ١/ ٩٣). فالشيعة قد طرحوا موضوع عودة بعض الأموات وهم يعتقدون أن هؤلاء العائدين الآن من ضمن الموتي لكنهم وبإذن الله تعالى يحيون مرة أخرى قبل القيامة، لكن الغلاة يعتقدون أن هؤلاء الأفراد مثل محمد ابن الحنفية يعتبرون الآن ضمن الأحياء لكنهم غابوا وسوف يعودون قبل قيام الساعة. وقد اعتبر الشيخ الصدوق أن الاعتقاد بعدم موت الأفراد تكذيبا للنص القرآني الصريح وهو يجعل صاحبه يكفر بالله عزوجل ويخرج من دائرة الأمة الإسلامية (الصدوق: الاعتقادات، ١٢٣).

لقد قام الغلاة في الغالب الأعم بوضع الأحاديث في المسائل التالية: فضائل الأئمة المعصومين عليهم السلام لاسيما علمهم المطلق بالغيب، ودورهم وتصرفهم في عالم الكون، والمعجزات والكرامات، والمسائل القرآنية وتحريف واسقاط بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن فضائل آل البيت عليهم السلام على وجه الخصوص ومواضيع طبية مثل معرفة بعض الأمرض وبيان خصائص ومزايا بعض الأطعمة والأدوية والمسائل الصحية والأخلاقية والعبادية وذكر الثواب المبالغ فيه من أجل القيام بأعمال صغيرة والقضايا الفلسفية والكلامية مثل موضوع التشبيه والحلول والتناسخ والرجعة.

الغلاة المشهورن في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

يعتبر محمد بن مقلاص الاسدي الكوفي (ابوالخطاب الاجدع) و المغيرة ابن سعيد البجلي من أشهر الغلاة في عصر الإمام الصادق عليه السلام وقد كانا زعيمين للجماعات الغالية والمتطرفة في ذلك العصر، ومن الغلاة الآخرين في ذلك العصر نذكر أيضا حمزة بن عمارة البربري، أبا منصور العجلي، بيان بن سمعان التميمي النهدي، حارث الشامي؛ عبدالله بن حارث المدائني و صائد النهدي.

وكان احد هؤلاء الغلاة يدعى أبوالخطاب. وقد شكل أبوالخطاب هذا أكثر الفرق غلوا في تاريخ الفرق والنحل الغالية بحيث أثرت أفكار فرقته على جميع الفرق السابقة والتالية له وانعكست آثارها على هذه الفرق بشكل كبير، وقد اقتبس كثير من الغلاة أفكارهم ومعتقداتهم الغالية من فرقة أبوالخطاب. كانت أفراد فرقة أبوالخطاب يلبسون لباس الإحرام في الكوفة وينادون الإمام جعفر الصادق عليه السلام وكانوا يشهدون بألوهيته وربوبيته (فخر الدين رازي: ٥٠٨).

كان قوام فكرة أبوالخطاب يقوم على نوع من الغلو وأفضلية الأئمة لاسيما الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وعندما عرض أبوالخطاب أفكاره الغالية واجه معارضة كبيرة من جانب الإمام جعفر الصادق، وحسب الروايات المختلفة فإن الإمام قد لعن أبوالخطاب وأتباعه وبين انحراف هذه الفرقة وأفكارها الغالية ووصفه باوصاف كالفاسق والكافر والمشرك وعدو الله و قال الصادق عليه السلام: ((على ابي الخطاب لعنة الله و الملائكة و النّاس اجمعين فأشهد أنّه كافر فاسق مشرك)) (الصفار القمي: ٥٣٦؛ الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ١/ ٢٢٠؛ كشي: ٢٩٦-٢٩٧؛ قاضي نعمان: دعائم الاسلام، ١/ ٥٠). و في رواية الأخرى: ((ابوالخطاب ملعون و اصحابه ملعونون فلا تجالس اهل مقالتهم فانّي منهم بريء و آبائي منهم براء)) (نعماني: ١٧٧؛ محدث نوري: ١٢/ ٣١٥)

واما المغيرة ابن سعيد البجلي الكوفي الكذاب صاحب البدع والأحداث في الاسلام. وقد أطلق على أتباع الغالي المغيرة ابن سعيد البجلي اسم ((المغيرية))، والمغيرة هذا آمن في البداية بإمامة الإمام الباقر عليه السلام ودعا الناس إلى قبول إمامته ثم زعم في ما بعد أنه وصي ونائب الإمام وبعد ذلك رفع الإمام إلى مستوي الخالق سبحانه وسمي نفسه إماما ونبيا، (الاشعري، ابوالحسن: ٦/١). كان المغيرة صاحب بدع و منكرات. أنه كان ماهرا في دس

الأخبار و وضعها في كتب أهل البيت عليهم السلام فكان يدس الغلو في كتب الامام محمد الباقر عليه السلام (الكشي: ٢٢٤) يقول الامام أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام إلى أصحابه: ((لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن و السنة، و تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة، فان المغيرة ابن سعيد دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها، فاتقوا اللّه، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا و سنة نبينا)). وروي هشام بن الحكم عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: كان المغيرة ابن سعيد يتعمد الكذب على أبي، و يأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المتسترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب فيدفعونها إلى المغيرة، فيدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه، ثم يأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم. كما أعلن الامام أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام نقمته و سخطه على المغيرة قائلا: ((لعن اللّه المغيرة بن سعيد، إنّه كان يكذب على أبي فأذاقه اللّه حرّ الحديد، لعن اللّه من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، و لعن اللّه من أزالنا عن العبودية للّه الّذي خلقنا و إليه مآبنا و معادنا و بيده نواصينا)) (الكشي: /٣٠١)؛ و قال: لعن اللّه المغيرة و لعن اللّه يهودية كان يختلف إليها، يتعلم منها السحر، و الشعبذة و المخاريق، ان المغيرة كذب على أبي فسلبه اللّه الايمان، و إن قوما كذبوا على مالهم: أذاقهم اللّه حر الحديد فو اللّه ما نحن إلا عبيد خلقنا و اصطفانا، ما نقدر على ضر و لا نفع، إن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، واللّه ما بنا على اللّه حجة، ولا معنا من اللّه براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون، ومبعوثون، وموقفون، ومسئولون، ما لهم لعنهم اللّه فلقد آذوا اللّه، و آذوا رسول اللّه في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين، وها أنا ذا بين أظهركم أبيت على فراشي خائفا وجلا يأمنون وأفزع، وينامون على فراشهم، وأنا خائف ساهر وجل، أبرأ اللّه ما قال في الأجدع، وعبد بني أسد أبو الخطاب لعنه اللّه...)). وأنت ترى مدى انفعال الامام وتأثره من هؤلاء الكاذبين الغلاة الذين مرقوا عن الدين وتلاعبوا بكتاب اللّه واتخذوا آياته هزوا.

أما بيان بن سمعان الذي تنسب له الفرقة البيانية المتفرعة عن الفرقة الكيسانية هو أحد أنصار وزملاء المغيرة ابن سعيد، وكان من المشبهين ويعتقد أن الله ذو جسم وأعضاء، وكان يطبق على نفسه قول الله تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران/١٣٨)، ويعتقد أن ألله قد أكد على نبوته في القرآن الكريم بعد أن صرح بإسمه (راجع: نوبختي: ٥؛ الاشعري القمي، سعد

بن عبدالله: ٣٧؛ الحسني الرازي: ١٦٩؛ الخويي: ٣٧٠/٣). وقد كذب بيان هذا على الإمام السجاد عليه السلام، ولهذا لعنه الصادقان عليهما السلام وقد قال الإمام الباقر عليه السلام عنه: ((لعن اللّه البيان و إنّ بنانا لعنه اللّه كان يكذب على أبي أشهد أنّ أبي علي بن الحسين كان عبدا صالحا)) (الكشي: ٣٠١)؛ و قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: ((كان بيان يكذب على على بن الحسين عليه السلام فأذاقه اللّه حرّ الحديد، و كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه اللّه حرّ الحديد، و كان محمّد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسي عليه السلام فأذاقه اللّه حرّ الحديد، و كان أبو الخطّاب يكذب على أبي عبد اللّه عليه السلام فأذاقه اللّه حرّ الحديد، والّذي يكذب على محمّد بن فرات)) (الكشي: ٣٠٢-٣٠٣).

إن تيار الغلو يصور الشيعة لدي أتباع باقي المذاهب بأنهم أناس غير ملتزمين بفروع الدين وأحكامه وخلق نوع من النظرة السلبية لدي الناس تجاه الشيعة. كان بيان بن سمعان الغالي يدعي أن معرفة الإمام تكفي عن الصلاة والصوم وجميع الواجبات والفرائض الدينية الأخرى، وهذه الأقوال الكاذبة من شأنها أن تقوض سمعة الإمام في قلوب الناس وتضعف شعبيته، لكن الإمام لم يجلس مكتوف الأيدي أمام هؤلاء الغلاة المغرضين بل راح يفند أقوالهم ومعتقداتهم ويبينها للناس (راجع: الكشي: ٣٢٤-٣٢٥). وفي رواية عن الإمام أنه قال: ((اللهم إني أبرأ إليك من المغيرة بن سعيد و بيان)) (ابن سعد: ٢٤٦/٥).

من وجهة نظر بعض الباحثين والدارسين أن المغيرة وبيان اللذان لعبا الدور الأكبر في وضع الأحاديث كانا ذوا مكر ودهاء، ومن أجل الوصول إلى أهدافهما المرسومة والمتمثلة بالمال والمقام قاما بتنظيم خطة محكمة، ومن خلال تأليه الأئمة راحا ينصبان أنفسهما كأنبياء من جانب الأئمة وهكذا يستغلان عواطف الناس البسطاء وأحاسيسهم الدينية ويحرفان عقائد الناس ويضللانهم (الكشي: ١٩٥). ورغم تحذير الصادقين من هؤلاء الغلاة المتطرفين وطردهم وفضح حقيقتهم أمام الناس (راجع: الكشي: ١٤٦، ١٩٥؛ الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٣٤/٢)، إلا أنه لا يمكن إنكار تأثير هذه الجماعات على عقائد الشيعة ومعتقداتهم، عندما طرد الإمام الباقر هؤلاء الغلاة من مجلسه قام أصحابه أيضا بطرد الغلاة والمتطرفين وتكفيرهم، يعتبر حمزة بن عمارة البربري أحد الغلاة الآخرين في عصر الإمامين الصادقين عليهما السلام، وحمزة هذا كان من أهل الإباحة وكان يقول أن من عرف الإمام يصبح

حرا في القيام بأي فعل أراده (نوبختي:٣٠). وعندما سمع الإمام بعقائد حمزة البربري لعنه وفنّد عقائده وأمر أنصاره بالتبرئ منه ومن أفكاره الغالية (الاشعري قمي، سعد بن عبدالله: ٣٣). عن بريد بن معاوية العجلي، قال، كان حمزة بن عماره بربري لعنه اللّه يقول لأصحابه إن أبا جعفر عليه السلام يأتيني في كل ليلة، و لا يزال إنسان يزعم أنه قد أراه إياه، فقدر لي أني لقيت أبا جعفر عليه السلام فحدثته بما يقول حمزة، فقال: كذب عليه لعنة اللّه ما يقدر الشّيطان أن يتمثّل في صورة نبي و لا وصي نبي (الكشي: ٣٠٤).

ادعى أبومنصور الذي تنسب فرقة العجلية إليه أنه وصي الإمام وقد أحل لأنصاره ارتكاب جميع المحارم والموبقات وأسقط عنهم الفرائض والتكاليف الدينية (الاشعري قم، سعد بن عبدالله: ٤٨). وكان كغيره من الغلاة الشيعة يحمل أفكارا متطرفة ومنحرفة كالتشبيه، وأيضا كسائر الغلاة الآخرين كان يسعى إلى تحقيق أهداف وأغراض سياسية من وراء هذه الأفكار المنحرفة التي يسعى إلى نشرها وترويجها بين الناس. كان يود أبومنصر هذا أن يخرج مقام الإمامة من دائرة آل البيت ومن خلال تقديم نفسه كنائب لهم يحقق أهدافه وغايته السياسية، و قد تبرأ الإمام الصادق عنه وعن أفكاره الغالية (التستري: ٥٢٤/١١). وفي صدد مواجهة هذه الجماعات المنحرفة قام الإمام الصادق وغيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام بكشف أمرهم وتعريف الناس بحقيقتهم الغالية وحاولوا أن يجنبوا الناس من الميل نحوهم والاعتقاد بأفكارهم وقد لعنوا الغلاة واعتبروهم كفرة وفاسقين، وفي المقابل قاموا بتعريف الناس بحقيقة المذهب الشيعي البعيد عن الغلو والتطرف.

و قد كان الغلاة عادة يروّجون لمثل هذه المعتقدات لاسباب و دوافع خاصة نجملها بالنقاط التالية:

١- التحرر من قيود العمل و بنفس الشكل الذي قالت به المرجئة في وقت من الاوقات. فهم يروون حديثا عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: من عرف الامام فليفعل ما شاء (الكليني: ٤/ ٤٦٤). الّا ان الامام رد عليهم قائلا: إنّما قلت اذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير و كثيره فانّه يقبل منك. فعند ما يخرج الخمر و الصوم و الصلاة عن معانيها الفقهية، لا تعود هناك اية ضرورة للالتزام بالعمل بها، و لذا فانهم كانوا يختبرون الغلاة باداء الصلاة في وقتها (الكشي:٥٣٠)

ودعوى ان الغلاة جعلوا من هذه المسائل ذريعة للتهرب من العمل غير مجازفة بل قد وردت في رواية مطولة ضمن كتاب بعثه الامام الصادق الى بعض اصحابه، و قد روى هذا الحديث القاضي النعمان (ابو زهرة الامام الصادق، صلى الله عليه وآله ٥٨- ٥٩ نقلا عن قاضي نعمان، دعائم الاسلام).

وهذا الحديث نقله الشهرستاني بتفصيل اكثر، و جاء في روايته ان الامام ذكر في احدى فقرات كتابه ما يلي: ((و اعلم ان هؤلاء القوم سمعوا ما لم يقفوا على حقيقته و لم يعرفوا حدود تلك الاشياء مقايسة برأيهم و منتهى عقولهم ولم يضعوها على حدود ما أمروا به تكذيبا وافتراء على رسوله وجرأة على المعاصي)).

ومن ثم بين الامام اساس هذا الانحراف و هو ان التأكيد المتواصل من قبل الامام الصادق عليه السلام و بقية الائمة المعصومين عليهم السلام على موضوع معرفة الامام، ادى بهم الى تصور أن الدين يتلخص في معرفة الامام فتركوا العمل بتعاليمه جانبا.

ولهذا فقد اشار الامام في مقاطع أخرى من نفس الكتاب الى هذا الموضوع ثانية وجعل العمل بالاوامر الالهية الى جانب معرفة اللّه والنبي والامام وقال: ان اللّه تبارك وتعالى اختار الاسلام لنفسه دينا ورضيه من خلقه فلم يقبل من احد الّا به، وبه بعث انبياءه ورسله، فمعرفة الرسل وولايتهم وطاعتهم هو الحلال، فالمحلل ما احلوا والمحرم ما حرموا وهم اصله ومنهم الفروع والحلال وذلك سعيهم، وعدوّهم هو الحرام المحرم، واولياؤهم الداخلون في امرهم الى يوم القيامة، فهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن (تفسير الشهرستاني، راجع مقالة آذرشب في مجلة تراثنا، العدد ١٢ صلى الله عليه وآله ١٨؛ المجلسي: ٢٤/ ٢٨٦- ٣٨٩ نقلا عن الشهرستاني).

٢- الغباء وحب الدنيا هو أيضا واحد من اسباب ظهور الغلاة (الكشي: ٢٩٥) حيث سعى الغلاة الى جمع الناس حولهم تحت ستار المذهب الحق ليبلغوا بذلك غاياتهم واغراضهم، يقول الامام الصادق عليه السلام في هذا السياق: ((ان الناس اولعوا بالكذب علينا واني لاحدث احدهم بحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله وذلك لأنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند اللّه وانما يطلبون الدنيا)) (الكشي: ١٣٦). لقد ترك انتشار افكار الغلاة ضرره على الشيعة، وخلق اجواء من السخط ضدهم ناهيك عن تأليب اهل السنّة ضد الشيعة والعمل على تحجيمهم- بهدف

تحجيم الغلاة- حتى ان ابا حنيفة كان يوصي اتباعه بعدم رواية حديث الغدير منعا لانتشار الغلو (المفيد: الامالي، ٢٧. يحتاج البحث في موضوع الغلاة الى دراسة مستقلة و هذا ما لا يستوعبه مثل هذا المختصر، نأمل القيام بهذه المهمة في الفرصة المناسبة ان شاء اللّه.)

الروايات الغالية المنسوبة إلى الأمام الصادق عليه السلام:

قام الغلاة والمتطرفون بوضع روايات كاذبة والزعم بأنها من أقوال وأحاديث الإمام الصادق عليه السلام، ويمكننا أن نشير إلى الروايات التالية:

الطبيعة الخاصة للائمه والشيعه:

قال أبا عبدالله عليه السلام: ((قال اللّه تبارك و تعالى يا محمّد إنّي خلقتك و عليا نورا يعني روحا بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي و أرضي و عرشي و بحري فلم تزل تهلّلني و تمجّدني ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجّدني و تقدّسني و تهلّلني ثمّ قسمتها ثنتين و قسمت الثّنتين ثنتين فصارت أربعة محمّد واحد و علي واحد و الحسن و الحسين ثنتان ثمّ خلق اللّه فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا. (الكليني: ٤٤٠/١). كنموذج على هذه الأكاذيب والأحاديث الغالية المنسوبة للإمام الصادق عليه السلام زورا وبهتانا، الخلقة والطبيعة الخاصة لأهل البيت والشيعة واختلافهم مع الأجناس البشرية الأخرى: تتعارض هذه النظرية مع التعاليم القرآنية مثل أن البشرية خلقت من طبيعة واحدة وأن الإنسان قادر على عمل الصالحات وتجنب السيئات، والأهم من كل ذلك دور الأنبياء باعتبارهم نماذج للمجتمعات البشرية، وهذا الأمر كما بينا لا يقتصر على الأئمة والأنبياء فقط، بعبارة أخرى أن الغلاة هؤلاء راحوا يخلقون روايات تدعي أن الشيعة أيضا يختلف جنسهم وطبيعتهم عن غيرهم من البشر. ويحق لنا أن نستاءل هنا عن هذا الافتراء ونقول لو كان الأمر كذلك وصح أن طبيعة الشيعة تختلف عن غيرهم من البشر وإن طبيعتهم تمنعهم من ارتكاب الذنوب والمعاصي، فما معنى حينئذ أن يكون الإنسان مختارا وأن هذا الاختيار له قيمة وأهمية تجعله يختلف عن غيره من المخلوقات والكائنات؟

العلم بأحداث الماضي والحال والمستقبل:

هناك روايات تنسب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام تدعي أنه يعلم بما يقع في مصر

والموصل و... وما يقع فيها من أحداث طبيعية كالزلازل من خلال مخاطبته لغصن أحد الأشجار (راجع: ابن رستم الطبري: ٢٥٠ بب).

المعجزات والكرامات: المعروف أن الغاية من المعجزات والكرامات هو إثبات النبوءة والإمامة، والإدعاء بحدوث معجزات من قبل النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام لغايات أخرى أمر يدعو إلى الشك والريبة، وهذه الريبة تزداد عندما تكون الرواية بلا راوي محدد أو إن الشخص الرواي عرف عنه الغلو ولا يمكن الوثوق بأقواله. على سبيل المثال لا الحصر أن هناك رواية تزعم أن الإمام قد حذر من مجيء شخص إلى المدينة وحدوث غارات فيها خلال ثلاثة أيام ثم أن الناس لم تبالي بهذه التحذيرات من جانب الإمام ويقع فيها ما حذر منه الإمام بعد خروجه منها، وبعد ذلك تحدث مقتلة كبيرة بين الناس في المدينة (ابن رستم الطبري: ٢٥٠). عن إسماعيل بن الأرقط و أمّه أمّ سلمة أخت أبي عبد اللّه عليه السلام قال: مرضت في شهر رمضان مرضا شديدا حتّى ثقلت و اجتمعت بنو هاشم ليلا للجنازة و هم يرون أنّي ميت فجزعت أمّي على فقال لها أبو عبد اللّه عليه السلام خالي اصعدي إلى فوق البيت فابرزي إلى السّماء و صلّي ركعتين فإذا سلّمت فقولي اللّهمّ إنّك وهبته لي و لم يك شيئا اللّهمّ و إنّي أستوهبكه مبتدئا فأعرنيه قال ففعلت فأفقت و قعدت و دعوا بسحور لهم هريسة فتسحّروا بها و تسحّرت معهم. (الكليني: ٤٧٨/٣) و في الرواية الأخرى: عن عبد اللّه بن بكر الأرّجاني قال صحبت أبا عبد اللّه عليه السلام في طريق مكّة من المدينة فنزل منزلا يقال له عسفان ثمّ مررنا بجبل أسود على يسار الطّريق وحش فقلت يا ابن رسول اللّه ما أوحش هذا الجبل ما رأيت في الطّريق جبلا أوحش منه فقال يا ابن بكر تدري أي جبل هذا قلت لا قال هذا جبل يقال له الكمد و هو على واد من أودية جهنّم فيه قتلة أبي الحسين بن على عليه السلام استودعوه يجري من تحته مياه جهنّم من الغسلين و الصّديد و الحميم الآن و ما يخرج من جهنّم و ما يخرج من الفلق و ما يخرج من آثام و ما يخرج من طينة خبال و ما يخرج من لظى وما يخرج من الحطمة و ما يخرج من سقر و ما يخرج من الجحيم و ما يخرج من الهاوية وما يخرج من السّعير و ما مررت بهذا الجبل قطّ في مسيري فوقفت إلّا رأيتهما يستغيثان بي ويتضرّعان إلى و إنّي لأنظر إلى قتلة أبي فأقول لهما إنّ هؤلاء إنّما فعلوا بنا ما فعلوا لما أسّستما لم ترحمونا لّما ولّيتم و قتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على حقّنا واستبددتم بالأمر دوننا فلا رحم اللّه من يرحمكما صنعتما وما اللّه بظلّام للعبيد و أشدّهما تضرّعا واستكانة الثّاني

فربّما وقفت عليهما ليتسلّى عنّي بعض ما يعرض في قلبي وربّما طويت الجبل الّذي هما فيه وهو جبل الكمد قلت جعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع قال أسمع أصواتهم ينادون عرّج إلينا نكلّمك فإنّا نتوب وأسمع صارخا من الجبل يقول لا تكلّمهم وقل لهم اخسؤا فيها ولا تكلّمون قلت جعلت فداك ومن معهم قال كلّ فرعون عتا على اللّه وحكى اللّه عنه فعاله و كلّ من علّم العباد الكفر قلت من هم قال نحو قورس ﴿بولس الّذي علّم اليهود أنّ عزيرا ابن اللّه و نحو نسطور الّذي علّم النّصارى أنّ المسيح ابن اللّه و قال لهم هم ثلاثة و نحو فرعون موسى الّذي فقال أنا ربّكم الأعلى و نحو نمرود الّذي قال قهرت أهل الأرض و قتلت من في السّماء و قاتل أمير المؤمنين عليه السلام و قاتل فاطمة عليها السلام و قاتل المحسّن وقاتل الحسن و الحسين عليهما السلام فأمّا معاوية و عمرو بن العاص فما يطمعان في الخلاص ومعهم كلّ من نصب لنا العداوة و عاون علينا بلسانه و يده قلت جعلت فداك إلى أين منتهى هذا الجبل قال إلى الأرض السّادسة و فيها جهنّم و هو على واد من أوديتها عليها ملائكة حفظة أكثر من نجوم السّماء وقطر المطر وعدد ماء البحار وعدد الثّرى وقد وكّل اللّه كلّ ملك منهم بشيء فهو مقيم عليه لا يفارقه (المفيد: الاختصاص، ٣٤٥).

في مثل هذه الروايات وبدل التأكيد على فطنة الإمام ودرايته وإدراكه للظروف السياسية الحاكمة في المجتمع، أو بدل الاعتقاد بمعرفة الإمام بهذه الأمور من خلال الطرق العادية أو من خلال تكهنه واستشرافه بأحداث المستقبل، أصروا على أن إطلاع الإمام بهذه الحقائق جاء عبر طرق ماورائية وعلوم خاصة لا يملكها غير الأئمة. إن بيان مثل هذه الإدعاءات لاسيما في عدد كبير من مصادر الشيعة مثل دلائل الإمامة، تقوي الفرضية التي تري أن بعض الأفراد وبسبب حبهم الشديد للإمام وعدم إدراكهم الصحيح من الظروف والأحداث التي تجري، حملوا معتقداتهم الغالية على الأخبار والروايات الموجودة في هذا المجال.

التصرف والسيطرة على نفوس البشر والحيوانات:

على سبيل المثال حركة جابر الجعفي في الطرق والمواقع التي سلكها ذوالقرنين، اظهار العين التي شرب الخضر عليه السلام منها الماء، الحركة في العوالم الملكوتية التي لم يراها حتى نبي الله ابراهيم عليه السلام، وفي الأخير رؤية الأئمة في العوالم الثانية عشرة وغيرها من الروايات والأحاديث المكذوبة. عن محمّد بن سنان، قال: وجّه المنصور إلى سبعين رجلا من أهل كابل،

فدعاهم فقال لهم: و يحكم! انّكم تزعمون أنكم ورثتم السحر عن آبائكم أيام موسى، و أنّكم تفرّقون بين المرء و زوجه، و أنّ أبا عبد اللّه جعفر ابن محمّد ساحر مثلكم، فاعملوا شيئا من السحر، فإنّكم إن أبهتّموه أعطيتكم الجائزة العظيمة، و المال الجزيل. قاموا إلى المجلس الذي فيه المنصور، و صوّروا له سبعين صورة من صور السباع، لا يأكلون و لا يشربون، و إنّما كانت صورا، و جلس كلّ واحد منهم تحت صورته، و جلس المنصور على سريره، و وضع إكليله على رأسه، ثمّ قال لحاجبه: ابعث إلى أبي عبد اللّه. (ابن رستم الطبري: ٢٩٩).

قدرة الإمام في رفع الشرور والمصائب من خلال الدعاء واللعن وباقي الأذكار:

ذكرت بعض الروايات أن من كرامات الأئمة هو قدرتهم على دفع الشرور والمصائب من خلال الدعاء والتضرع إلى الله. وفي الرويات ينقل أن الإمام الصادق عليه السلام قدم محبسا إلى شخص كان يريد السفر من خلال البحر ويذكر أن هذا المحبس كان سببا في نجاة هذا الشخص من الغرق والهلاك (ابن رستم الطبري: ٩٦). حدّثنا محمّد بن راشد، عن أبيه، قال: جاء رجل إلى أبي عبد اللّه عليه السلام فقال: يا ابن رسول اللّه، إنّ حكيم بن عبّاس الكلبي ينشد الناس بالكوفة هجاءكم.فقال: هل علقت منه بشيء؟ قال: بلى. فأنشده:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ... ولم نر مهديا على الجذع يصلب

وقستم بعثمان عليا سفاهة ... وعثمان خير من علي وأطيب

فرفع أبو عبد اللّه عليه السلام يديه إلى السماء و هما ينتفضان رعدة، فقال: اللهمّ إن كان كاذبا فسلّط عليه كلبا من كلابك.قال: فخرج حكيم من الكوفة فأدلج، فلقيه الأسد فأكله، فجاءوا بالبشير لأبي عبد اللّه عليه السلام و هو في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله فأخبره بذلك فخرّ للّه ساجدا، و قال: الحمد للّه الذي صدقنا وعده. (ابن رستم الطبري: ٢٥٣).

رؤية الجن:

ذكرت بعض المصادر أن الجن تخدم الأئمة وتقوم بما يأمرون به، كما تذكر بعض الروايات أن الجن يأتون إلى الإمام ويستفتونه في ما يعرض لهم من قضايا ومسائل (راجع: ابن رستم الطبري: ١٠٠-١٠٣).

نزول المائدة:

تشبه بعض الكتب والمصادر الأئمة بالسيدة مريم عليها السلام ونبي الله عيسي عليه السلام وتدعي نزول مائدة من السماء لهم، ويبدو أن هذه الروايات المكذوبة جاءت تحت تأثير التنافس المذهبي والديني الذي كان قائما آنذاك، على سبيل المثال تكلم الإمام مع شجرة نخل يابسة وهز جذوعها وسقوط التمر منها، وفي القسم الآخر من الرواية يذكر أن هذه الحادثة هي معجزة مثل معجزة السيدة مريم بنت عمران عليها السلام. (ابن رستم الطبري: ٦٧).

طي الأرض:

إن قضية طي الأرض واجتيازها بوقت قصير هي من المعجزات التي كثيرا ما تنسب إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإن وجود هذه القدرة لدي الأئمة أنفسهم أمر مبالغ في بحد ذاته، وما يشكك في مصداقية هذه الأحاديث والروايات هو أن تفاصيل هذه الأحداث والوقائع لم تأتي على لسان الإمام نفسه أو أصحابه المقربين بل إنه غالبا ما يذكرها الغلاة والذين يعرف عنه التطرف في الفكر والمعتقد. يذكر مفضل بن عمر الجعفي قضية طي الأرض من خلال ركوب الإمام من مدينة إلى مكة المكرمة (ابن رستم الطبري: ٢٤٢). حدّثنا الليث بن إبراهيم، قال: صحبت جعفر بن محمد عليه السلام حتى أتى الغري في ليلة من المدينة، و أتى الكوفة ثم رأيته مشى على الماء، و عاد إلى المدينة و لم ينقض من الليلة شيء. (ابن رستم الطبري: ٢٥١). حدّثنا قبيصة بن وائل، قال: كنت مع الصادق عليه السلام حتّى غاب، ثمّ رجع و معه عذق من الرّطب، و قال: كانت رجلي اليمنى على كتف جبرئيل، و اليسرى على كتف ميكائيل، حتّى لحقت بالنبي و على و فاطمة و الحسن و الحسين و على و أبي عليهم السلام فحبوني بهذا لي و لشيعتي (ابن رستم الطبري: ٢٥٠). و حدّثنا ليث بن إبراهيم، قال: صحبت جعفر بن محمد عليه السلام حتى أتى الغري في ليلة من المدينة، و أتى الكوفة ثم رأيته مشى على الماء، و عاد إلى المدينة و لم ينقض من الليلة شيء. (ابن رستم الطبري: ٢٥١).

كشف كنوز في باطن الأرض، واستخراج أكياس من المال والذهب و...:

امتلاك خزائن الأرض وما فيها من جانب الأئمة المعصومين عليهم السلام، أداء القروض، ورفع حوائج الناس المادية من خلال استخراج أكياس من المال والذهب، وكشف كنوز في باطن الأرض بضربها بالسوط أو من خلال رسم خط على باطن الأرض و...، ونزول قطع

ذهبية من أصابع الإمام بدل ماء الوضوء، وغيرها من الأمور تعتبر مصداقا واضحا للغلو والتطرف الفكري. إن الرواة الذين رووا هذه الأقوال والأحاديث هم أفراد يعرف عنهم النهج الغالي في الدين وقد أضرت مثل هذه الروايات بسمعة هؤلاء الأشخاص ومكانتهم في علم الرجال والحديث، فعلي سبيل المثال يروي أن جابر بن يزيد الجعفي جاء ذات مرة إلى الإمام وأعلن عن حاجة مادية له ولكن ورغم مصارحة الإمام بعدم امتلاكه للمال من أجل تقديمه له إلا إنه ذهب به إلى بيت وضرب برجله على أرض ذلك البيت وخرج الذهب منها ثم قال الإمام أنه باستطاعة جابر ان يستفيد من هذا الذهب لسد احتياجاته (ابن رستم الطبري: ٧٩)؛ ومما لا شك فيه أن وجود مثل هذه الروايات والفضائل التي تنسب إلى الأئمة لا يمكن تصديق وقوعها من قبل أي إنسان كامل، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا قامت بعض الكتب فقط بذكر هذه الرويات فيما امتنعت بعض الكتب والمصادر الأخرى عن ذكرها والحديث عنها؟ من جانب آخر فإن الاشكالات في مضامين هذه الروايات يزيد الشك والترديد في غلو هذه الرويات المنسوبة لآل البيت عليهم السلام.

ذكر الثواب الجزيل والذي لا حد له بسبب بعض الأعمال السهلة كالصلوات و...:

في احدي الروايات التي تنسب إلى الإمام الباقر أو الإمام جعفر الصادق عليهما السلام يذكر أنه اذا بات شخص في ليلته مؤمنا بوحدانية الله ورسالة نبيه وإمامة وصيه والبراءة من الخلفاء ومات في تلك الليلة فقد دخل الجنة (راجع: كتاب الكليني: ٥٢٢/٢). وإن الوصول إلى مقام الأئمة أمر سهل وليس فيه صعوبة كبيرة، أو إن الصلوات او قراءة دعاء ما قد توصل الإنسان إلى مقام الإمامة أو إنها تكون سببا في شفاعته ودخوله إلى الجنة (راجع: الصدوق: عيون اخبار الرضا، ٣٨-٣٩).

تأييد الأنبياء وأهل الكتاب والرهبان والأحبار وعلماء اليهود والمسيح:

وهناك أيضا توجد بعض الروايات التي تتحدث عن تأييد الأنبياء وأهل الكتاب ويمكننا أن نقسم هذه الروايات إلى قسمين: قسم يروي أن هناك نص ثابت عن النبي في موضوع الإمامة وأن هناك نبي أو راهب أو عالم دين أو شخص عادي من أهل الكتاب قد حضروا وسمعوا هذا القول والوصية من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقسم قالوا أن كتبا سماوية قد ذكرت أسماء الأئمة وتكهنت في الأخبار والأحداث المتعلقة بهم في هذه الكتب المنزلة من السماء.

وكان كلا الطرفين في رواياته لا يعتمد على أسانيد موثقة والطرفان يعتبران من الفرق الغالية، على سبيل المثال أسئلة نافع خادم عمر ابن الخطاب أو عالم مسيحي من الإمام حول قضايا مثل الفاصلة الزمنية بين السيد المسيح عليه السلام ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله، أو الليل والنهار، أو أهل الجنة و...

أنواع الغلو:

يمكننا أن نقسم الغلو على أساس الموضوع وما يدور عنه. وأحد هذه الأنواع أو الأقسام هو النوع الموجود في الفكر الكلامي للشيعة الإمامية.

أ. الغلو في بيان مكانة الإمام ومعرفة أهمية الإمامة والولاية: لهذا النوع من الرؤية توجد اعتبارات خاصة، فقد توضع في مقام معرفة الخالق سبحانه أو الاعتقاد بتفويض الله الأمور للأئمة، والاعتقاد بأفضلية مقام الإمام على الأنبياء والرسل وهذه من مصاديق الغلو في قضية الإمامة. لقد بين الإمام وظيفة المؤمن في معرفة الغلو بشكل جيد، وقد حدد الإمام معايير معرفة الروايات الغالية التي نشرها المغيرة بن سعيد وأصحابه في المجتمع والفكر الشيعي. والتركيز على هذه المعايير في معرفة مصاديق الغلو أمر بالغ الأهمية. إن معرفة هذه الحقيقة ألا وهي أن الغلاة يخلقون الروايات الكاذبة ثم ينسبونها إلى الأئمة تؤكد أن الأئمة المعصومين عليهم السلام لم يكونوا مسؤولين عن بيانات وأقوال هؤلاء الغلاة. عندما عرض أحد أنصار الإمام الرضا عليه السلام في حضوره كراسة من الأحاديث التي تنسب إلى الصادقين عليهما السلام وقد دونت في العراق، نفي الإمام صحة هذه الروايات وقال: ((هو من قام بوضع هذه الأحاديث ونسبها إلى الصادقين عليهما السلام لكي تصدق افتراءته وأكاذيبه)) (الكشي: ٢٢٤)؛ ثم ومن أجل أن يتخلص أنصار الإمام من الحيرة والضلال في معرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها قال: ((لا تصدقوا ما نقل عنا مادام أنه يتعارض مع القرآن الكريم)). فالإمام الصادق عليه السلام قد وضع القرآن معيارا لمعرفة الصحيح من الكذب من الأقوال والأحاديث، وقد عارض بشدة خلق الأحاديث الكاذبة مهما كانت الدوافع والخلفيات؛ لأنه يري أن هذا الأمر خطر يهدد أسس الدين وأصوله. هذه الحادثة جعلت الشيعة لا يصدقون بمزاعم الغلاة وافتراءاتهم.

ب. **الغلو في بيان فضائل الأئمة لاسيما الإمام على عليه السلام:** يتجسد الغلو ويصل نهايته عندما يقارن الإمام ويصور على أنه كفؤ لله تعالى أو عندما يدعي أن صفات الأئمة وخصائصه هي ذاتية دون الاهتمام بالأمور الاكتسابية. الاعتقاد بوجود صفات أو فضائل خاصة بعد السعي والمجاهدة الشخصية في طاعة الله تعتبر من مصاديق الغلو والتطرف الفكري، وإن الروايات التي تطرقت إلى هذه القضايا وصفت بأنها روايات غالية.

ج. **الغلو في وصف علوم الأئمة ومعارفهم:** لا شك أن الأئمة كانوا يتسمون بعلوم كثيرة وأنهم يعتبرون من أهل الذكر المذكورين في القرآن ولديهم معارف جمة في قضايا الدين والكتب السماوية ويعرفون التمييز بين الحلال والحرام وكل ما يحتاجه الناس وما يدور في أذهانهم من أسئلة ومواضيع. لقد استفاد الأئمة في نقاشاتهم وتدريسهم من العلوم التوحيدية والمباحث الاستدلالية المتعلقة بالدين وأصوله وكذلك معرفة أصول وأحكام الأديان الأخرى، وإن تمتع كل الأئمة بهذه الصفات أمر معروف ومتفق عليه. إن الاتصاف بعلم الفراسة أو غيرها من العلوم ليس من مصاديق الغلو لأن هناك آيات وروايات متعددة تؤكد وجود هذا العلم قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الانفال/٢٩)؛ في بعض الأحيان يسمي الإمام بالعالم ويطلق على الأئمة المعصومين علماء آل محمد عليهم السلام (الصفار القمي: ١٧، ٢١، ٢٣، ٢٧). وقد عرفوا على أساس أنهم أفضل مصاديق الدعاة المهديين وخير من يستطيع القيام بهداية المجتمع بعد الرسول الأعظم (راجع: كليني: ٣٩/١-٤٤، ٥٨)، كما إن علمهم ومعرفتهم بالقرآن الكريم وباقي الكتب السماوية معروف للجميع (الصدوق: الامالي، ٤٣٤)؛ وكل هذه العلوم التي تنسب إليهم في هذا السياق لا يمكن اعتبارها روايات غالية، بل إن الروايات الغالية هو أن ينسب للإمام علما مطلقا وذاتيا وليس اكتسابي من قبيل الروايات التي تدعي أنه لديه علما بأخبار السماء والأرض وموعد قيام الساعة وأنه يعرف ما يدور في بواطن الإنسان ويعرف متي يموت هو والآخرون، كما إن لديه علم بالكائنات والسيارات

الأخرى في عالم الكون، أو إنه يعرف عدد قطرات المطر وعدد نجوم السماء و.... إن فتح ينابيع المعرفة وحقائق العلوم للأئمة يدل على علمهم الحضوري وليس الذاتي، وان من مستلزمات كسب العلم الحضوري والاكتسابي الاجتهاد الشخصي لكن العلم الذاتي يتم الحصول عليه دون سعي من جانب الشخص وإنما يوهب له من الله تعالى، ووجود هذا النوع من العلم ليس له وجود في الخطاب القرآني والروائي والكلامي، فالإمام على عليه السلام مثلا يرفض مقولة علم الغيب لديه ويؤكد أن مصدر العلوم والمعارف الذي حصل عليها جاءت بفضل دعاء النبي له، فالإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة يؤكدون وجود علوم غيبية لا يعرفها غير الله تعالى (الكليني: ٣٨٦/٢)، وهذا الأمر بحد ذاتع يوضح محدودية علوم الأئمة كما إنه يتناقض بشكل صريح مع الروايات التي تتحدث عن العلم اللامحدود للأئمة أو إن مجرد إرادة الإمام تكفي للحصول على ما يريد من علوم ومعارف يعتقد الإمام أن أمورا مثل ما سيقع في يوم القيام من أحداث ووقائع أو الأرض الذي يموت فيها الإنسان من ضمن العلوم التي لم يعطها الله لأحد من عباده. كما إنه تحدث عن بسط العلوم وقبضها. قال الباقر عليه السلام: ((يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنّا فلا نعلم)) (الكليني: ٢٥٦/١؛ الصفار القمي، ٦٦٨). ورواية الإمام الصادق الذي يقول فيها: ((إنّ للّه علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء- وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه)) (الكليني: ١٤٧/١-١٤٨) تأتي في هذا السياق أيضا.

ويؤيد محمد بن مسلم وجود كتاب لدي الإمام على عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وبخط أمير المؤمنين على عليه السلام، وفي هذا الكتاب تم تدوين الأحكام المختلفة بما فيها أحكام الميراث (الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ١٣٤/٦-١٣٥). وفي هذه الرواية لا يوجد شيء يدل على غرابة في الكتاب هذا، في حين أن بعض الروايات تزعم أن في هذا الكتاب توجد جميع احتياجات الناس حتى يوم القيامة (الصفار القمي: ٢٠٤، ٢٠٩) أو إنه يحتوي على جميع أحداث الماضي والمستقبل (المجلسي: ٢٢/٢٦)؛ وهذا مما لا شك فيه غلو وافراط واضح. يجب أن نشير هنا إلى أن الرويات والأحاديث التي تتكلم عن علم النبي صلى الله عليه وآله والإمام على عليه السلام بالمستقبل تدل على معرفتهم ودرايتهم بما سيقع في المستقبل وهو ليس من مصاديق الغلو والتطرف، وكثيرا من التكهنات التي تنسب للإمام على عليه السلام يمكن وضعها في هذا الإطار.

د. **الغلو في العصمة الذاتية للأئمة عليهم السلام**: يعتقد الشيعة أنه لابد أن يكون الإمام معصوم ولا يقع في الخطأ أو الزلزل الذي قد يقع فيه غيره، وقد قدم العلماء كثيرا من الأدلة والاستدلالات في هذا الخصوص، وأوضح استدلال في هذا الخصوص يتجسد في طريقة قيادة المجتمع وهدايته، وبنص القرآن الكريم تعتبر مجاهدة النفس والسعي لعبودية الله من أهم مستلزمات سلوك هذا الطريق والوصول إلى اليقين الذي هو أحد العوامل الأساسية في تجنب الإنسان للمعصية وارتكاب الذنوب (راجع: الحجر/٩٨، ٩٩، الاسراء/٧٩، مريم/٦٥، الانبياء/٧٠،٥١، ٧٣، الجن/٢٦، ٢٧). وهناك الكثير من الآيات التي تذكر أن رحمة الله هي أهم العوامل في عدم الوقوع في المعصية والضلال لدي الأنبياء:((و لو لا فضل اللّه عليك و رحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك و ما يضلّون إلاّ أنفسهم و ما يضرّونك من شيء و أنزل اللّه عليك الكتاب و الحكمة و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل اللّه عليك عظيما)) (النساء/١١٣). إن خطر الضلال (راجع: الشعراء/٢٠، القصص/٨٦، ٨٨، الشوري/١٥، الحديد/٢٦)، واحتمالية الخطأ وارتكاب المعصية ووجود التلقينات الشيطانية لا يتم نفيه عن الأئمة أي إنه من الوارد أن يخطئ الإمام (الحج/٥٢)، لكنه وبسبب ما يقوم به من مجاهدة للنفس يكسب معية الله ويصان من الوقوع في الذنوب والمعاصي. إن المقاومة ومجاهدتهم أمام المعاصي أو الوساوس الشيطانية تعود أسبابها لمعية الله، ومن وجهة نظر القرآن الكريم إن العصمة ونيل العناية من الله وعدم الوقوع في الذنوب والمعاصي تستمر من خلال مجهادة النفس(راجع: الاسراء/٧٣، ٧٤، مريم/٦٥). وإن الانذار المتكرر للقرآن الكريم للأنبياء وتاكيده لهم على تجنب الشرك وحثهم على مقاومة الهوي وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء وعدم الغش والخداع والتأثر بوساوس الشيطان وترغيباته كلها تدل على نفي العصمة الذاتية للأنبياء عليهم السلام (راجع القرآن الكريم: الاسراء/٧٣-٧٥، الشعراء/٢١٣، القصص/٨٦- ٨٨، الشوري/١٥)، وفي النظر إلى الروايات والأحاديث المنقولة عن الأئمة نشاهد نفس الخطاب الذي نشاهده في القرآن الكرم، وتعتبر أدعية الأئمة في مناجاتهم لربهم عزوجل والتضرع إليه في مساعدتهم لتجنب المعاصي والذنوب والكسل في أداء الفرائض والتكاليف الدينية خير دليل على

اثبات هذا الرأي (راجع: الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٢/ ٤٢٧-٤٣٢). وفي خطب الإمام على عليه السلام ورسائله وأقواله في نهج البلاغة أو غيرها من المصادر لا نشاهده يذكر عصمته باعتبارها صفة أو ميزة خصه الله به أو إنه من خلال هذه الميزة جادل خصومه ومخالفيه ومن ادعوا الأولوية في خلافة الأمة الإسلامية بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، فعندما يختلف الإمام مع أهل البصرة ويواجه اعتراضاتهم يطلب منهم فقط أن يقولوا: هل شاهدوا ظلما وجورا في حكومته؟ هل إنه لم يراع العدل في أحكامه؟ هل مال الإمام إلى الدنيا وأخذ شيئا لنفسه أو أهل بيته؟ (الحميري: ٤٦). إن الأئمة أو أصحابهم لم ينظروا إلى قضية العصمة كما نظر إليها الشيعة في القرون المتأخرة، على سبيل المثال تعتبر نوعية تعامل الإمام على عليه السلام مع قضية خروج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من الإحرام وعرض الموضوع أمام رسول الله تأييد لهذا القول، فاذا كان الإمام على عليه السلام يعتقد بعصمة فاطمة الزهراء بتلك الحدود والمستويات التي ذكرت فيما ما بعد، لم يسأل النبي صلى الله عليه وآله عن صحة هذا العمل من خطأه (الكليني: ٤/٢٤٨-٢٤٩). يقول ابراهيم بن نوبخت مؤلف كتاب ياقوت: إذا كان المعصوم غير قادر على ارتكاب المعصية بسبب عصمته فما معنى أنه يثاب على تركه للقبائح والمنكرات؟ (حلي: ٣٠٤).

هـ. **تشبيه الأئمة بالله عزوجل:** و من المعتقدات الاخرى المتطرفة للغلاة هي اطلاقهم كلمة (إله) على الامام و قالوا: هو الذي في السماء إله و في الارض إله قال: هو الامام. و قد اعتبر الصادق عليه السلام القائلين بهذا الرأي شرّ من المجوس واليهود والنصارى. و جاء في رواية اخرى ان فنّد قول الغلاة ((على في السحاب)) و قال: ان النبي قد غطّى عليا بعباءة اسمها السحاب ٢، و لما جاء بها مع آله الى الرسول صلى الله عليه وآله قال: هذا على قد اقبل في السحاب (الذهبي: ميزان الاعتدال، ٣/ ٩٨)

القضية الاخرى المهمة التي كان يستند إليها الغلاة هي اعطاؤهم صفة الالوهية للائمة ورفعهم من مقام العبودية للّه، لكن الامام الصادق عليه السلام قال في دحضه لهذه المقولة: لعن اللّه من قال فينا ما لا نقوله في انفسنا، و لعن اللّه من ازالنا عن العبودية للّه الذي خلقنا وإليه مآبنا و معادنا و بيده نواصينا)) وقد نسب الإمام جعفر الصادق عليه السلام بدء قضية التشبيه إلى الغلاة الذين لم ينتبهوا إلى عظمة الله عزوجل وقد صورها صغيرة، ولهذا كان الإمام

يأمر أصحابه وأنصاره بعدم مجالسة هؤلاء الغلاة والاختلاط بهم: ((و احذر مجالسة أهل البدع فانّها تنبت في القلب كفرا و ضلالا مبينا (محدث نوري: ١٢/ ٣١٥).

و. **الغلو في باب المعجزة:** إن المعجزة ليست قدرة من جانب الإمام بل هي فعل من قبل الله سبحانه وتعالى، فهو فعل يحدث بإرادة ووعلم من الله. وربما بسبب وجود هذه الميزة منع انتشار الأسرار بين أطياف الناس في الروايات المختلفة، وفي الواقع اعتبروا هذا الأمر اهمالا لحقوق الأئمة المعصومين عليهم السلام أو قتلهم بشكل متعمد.

ز. **الغلو في باب تشريع الأحكام وتقدير الأرزاق:** عرف الشهرستاني الغلاة بأنهم جماعة تجاوزت الحدود في ما يتعلق بالأئمة واعتبروهم مخلوقات أعلي مستوي وطبيعة من باقي البشر وأعطوهم صفات وخصائص لا يمتلكها غير الله (الشهرستاني: ١/١٧٣). فالمفوضة مثلا تعتقد أن الله وبالإضافة إلى تفويض النبي صلى الله عليه وآله والأئمة للقيام بأمور الكون جعلهم كالآمر الناهي والمفوض الصلاحيات في أمور الشريعة وأحكام العقيدة (الحسني الرازي: ١٧٦). لكن الإمام جعفر الصادق عليه السلام رفض هذه العقيدة ورأي أن من يؤمن بهذا الاعتقاد يخرج عن الملة و يصل إلى حد الشرك بالله عز وجل، فالأئمة عليهم السلام لم يذكروا موضوع تفويضهم بأعمال الكون من جانب الله، والروايات التي تروي عنهم تثبت أن القرآن والسنة والإلهام من جانب الخالق سبحانه وتعالى هي المصدر الوحيد لبيان الأحكام من قبلهم(راجع: الصفار القمي: ٣٠٩، ٤١٥-٤١٩، ٥٠٥-٥٠٨)، وهذا دليل واضح على أن أمر التفويض لم يعط لهم كما يزعم بذلك أتباع فرقة المفوضية الغالية والمنحرفة عن العقيدة الصحيحة. وقد كافح الأئمة عليهم السلام وواجهوا بشدة هذه الأفكار والعقائد التي تزعم أن أمور التفويض مثل الخلق وايصال الرزق قد فوض الله الأئمة بالقيام بها، وأكد الأئمة كلهم أن هذه الأمور كلها غير صحيحة(راجع القرآن الكريم: الفاطر/٤٠، الاعراف/٥٤، النحل/٢٠، ٦٩، ٧١، ٧٣، التغابن/٣، و...). وأن هذه القدرات لا يملكها غير الله عزوجل فحتي النبي محمد صلى الله عليه وآله لم يعط هذه القدرات والأمور من ربه (راجع: النساء/١٠٥، الاعراف/٢٠٣، القصص/٧٠، ٨١)، ولو أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يقول شيئا من نفسه أو يكذب على الله ستقطع شرايين

قلبه وسيعاقبه الله عقابا شديدا ولن يجد من يمنعه من معاقبته (الكهف/٢٦، الشوري/٢١). وأشارت بعض المصادر إلى مواجهة الأئمة للذين يعتقدون أنهم قادرون على إيصال الرزق إلى البشر، فهم يعتقدون أن الرزق بيد الله وحده وفي سيرهم نشاهد سعيهم لكسب الرزق الحلال، وفي بعض الرويات نقرأ أنهم يستقرضون من غيرهم أحيانا. عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان قال: دخل حجر بن زائدة و عامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبد اللّه عليه السلام فقالا له جعلنا فداك إنّ المفضّل بن عمر يقول إنّكم تقدّرون أرزاق العباد فقال واللّه ما يقدّر أرزاقنا إلّا اللّه ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إلى الفكرة في ذلك حتّى أحرزت قوتهم فعندها طابت نفسي لعنه اللّه وبرئ منه قالا أ فنلعنه ونتبرّأ منه قال نعم فلعنّاه وبرئنا منه برئ اللّه و رسوله منه (الكشي: ٢٠٧-٢٠٨؛ المجلسي: ٢٥/ ٣٠١)

ح. **تصوير مسألة وفاة الأئمة أو شهادتهم كأسطورة:** هذه القضية أيضا ليس لها وجود في التعاليم القرآنية والروايات الصحيحة، فاطلاع الأئمة على موعد وفاتهم أو تخييرهم بين الموت والحياة والزعم بأن الأئمة متي ما اختاروا الموت يقدره الله عليهم يتناقض تناقضا صريحا مع تعاليم الإسلام والآيات القرآنية المبينة، يقول الإمام الرضا عليه السلام:((نحن لا نملك لأنفسا شيئا وليس لنا اختيار موتنا أو حياتنا وبعثنا)) (الصدوق: الاعتقادات، ١٣٣؛ حر العاملي: ٣٨٥/٥).

ط. **ادعاء الألوهية للأئمة المعصومين:** في القرن الثاني الهجري كان بعض الأفراد مثل بيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد العجلي وحمزة بن عمارة البربري و ابو الخطاب الذين كانوا امتدادا للفكر الكيساني المنحرف يعتقدون بألوهية الإمام على عليه السلام ومن بين الغلاة كان هناك كانوا أصدقاء وأنصار الصادقين عليهما السلام لكن بعد براءة الائمه المعصومين عليهم السلام منهم راحوا يدعون أشياء غريبة وغالية جدا (راجع: الشهرستاني: ١٥٢/١، ١٧٣ببـ؛ ابن الحزم: ٤٤/٥-٤٦). إن تأليه الإمام على عليه السلام من قبل هؤلاء الغلاة كان نوعا من معرفة العالم، فهم بعد تأليه الإمام على عليه السلام جاءوا بمشروع جديد وبناء عليه ادعوا أنهم أنبياء ورسل الله (أي الإمام على عليه السلام)، وهكذا جاءوا بشريعة جديدة وادعوا أن شريعة الاسلام تم نسخها وفتحوا الطريق

للإباحة وللأفكار الجديدة والمخالفة لشريعة الإسلام الصحيح. وحسب ما ذكره الشهرستاني فان فرقة النصيرية في القرن السادس الهجري جاءت بأدلة فلسفية للدفاع عن معتقداتها الغالية، فبناء على هذه العقيدة لا يستبعد عقليا ظهور الأرواح وحلولها في الجسد الجسماني للأخرين، وإن أمير المؤمنين على عليه السلام وبسبب مكانته الإنسانية العالية يستحق أن تحل فيه الكائنات الروحية (راجع: الشهرستاني: ١/١٨٨-١٨٩). الجدير بالذكر أن الغلاة ومن خلال نشر هذه الأفكار الغالية يحاولون إضعاف الشيعة من الداخل وتشويه صورتهم أمام الآخرين وأتباع المذاهب والمدارس الفكرية الأخرى. يقول الإمام الصادق عليه السلام حول هذا الموضوع: ((لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في انفسنا و لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الّذي خلقنا و اليه مآبنا و معادنا و بيده نواصينا)) (الكشي: ٣٠٢)، ومثل هذه الرويات والأحاديث عن الغلاة نقلت عن سائر الأئمة عليهم السلام (راجع: حميري: ٣١، ٦١؛ الكشي: ٢٩٧-٣٠٢؛ الصدوق: الاعتقادات، ١٠٠-١٠١؛ الخصال، ٦٣/١؛ عيون اخبار الرضا، ١٦٣/١، ٢٠٢/٢-٢٠٣؛ المجلسي: ٢٦١/٢٥-٣٥٠)، وما يتفق عليه الشيعة الإمامية وأهل السنة هو مخالفة الإمام على عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام لما يوصفون به من أولوهية ومعاداته للأفكار الغالية والمتطرفة (الكليني: ٢٢٥/٨-٢٢٦؛ الشهرستاني: ١٤٧/١). وعلي كل حال فان ادعا الألوهية للنبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة المعصومين عليهم السلام يتعارض تعارضا كبيرا من معتقدات الشيعة (راجع: الكليني: ١١/٢؛ الصدوق: الاعتقادات، ١٤١).

فالقرآن الكريم يعرف الأنبياء على اساس أنهم أناس عاديين مثل باقي البشر وإنهم يقومون بما يقوم به الآخرون من أعمال لتلبية احتياجاتهم اليومية والشخصية، وهم وبسبب اختيارهم للطريق الصحيح والاستفادة من الفرص والإمكانيات التي يضعها الله أمام كل مخلوق تم اختيارهم من الله تعالى لحمل رسالته إلى البشرية وهداية الناس، (راجع: البقره/١٢٤، ٢٤٧، آل عمران/٢٨، ١٣٤، الانعام/١٣٠، النساء/٥٤، الاعراف/ ٣٥، ٦١، ٦٣، ٦٩، ١٠١، ١١١، ١١٨، ١٢٨، ١٩٤، ١٩٥، المائدة/٥١، ٥٥، ٥٧، ٧٧، يونس/٤ و...). فالقرآن يعتبر كل شيء غير الله مخلوقا ولا يجعل أي شيء أو مخلوق غير الله جدير بالعبادة: ((و الّذين يدعون من دون اللّه لا يخلقون شيئا و هم يخلقون)) (نحل/٢٠). تشير بعض الآيات إلى طبيعة الأنبياء وكونهم أناس عاديين بعد ذكر توقعات الناس غير المعقولة منهم.

فمثلا عيسي عليه السلام وبنص القرآن الكريم نال هذه النعم وأصبح أنموذجا يحتذي به بفضل إخلاصه وعبوديته لله عزوجل (زخرف/٥٩).

ي. **تصوير الأئمة كأنهم مخلوقات تختلف عن طبيعة الإنسان والبشر:** لا يمكن لنا إنكار نفوذ الأفكار الغالية في النصوص والمصادر الشيعية، ففي بعض الروايات نري أنه يتم اعطاء الأئمة صفات خارقة للطبيعة ويصورون كأنهم مخلوقات تتمايز عن غيرهم من البشر وهذا النوع من التفكير موجود مع الأسف في بعض مصادر الشيعة وقد تسرب إليها خلال القرون المديدة التي عايشها الشيعة. بعض الشيعة يري أن الأئمة هم مخلوقات غير طبيعية وأنهم لا يموتون ولديهم علم مطلق وغير محدود كما إنهم يعلمون الغيب ولديهم القدرة على التصرف في عوالم الكون وتقدير الرزق للناس وإن الله عزوجل قد فوضهم بذلك، ولهذا سميت هذه الجماعة ومن يعتقدون بهذه الأفكار بالمفوضية (نوبختي: ٨٤؛ المفيد: الاختصاص، ١٣٣-١٣٤). وبعض المفوضين يعتقدون ان الأئمة هم أنبياء وإن الوحي ينزل عليهم من الله.

ك: **الاعتقاد بالإمامة هو شرط اعتبار الشخص مؤمنا:** أشاد القرآن في مرات عديدة بأهل الكتاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ووعدهم بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (البقره/٦٢، المائده/١٢، الاعراف/١٥٩). والحال إننا اذا عتبرنا الاعتقاد بالإمامة هو شرط الإيمان الشخص ونعتبر من ينكرون الإمامة كفرة وغير مؤمنين نكون قد غلونا في معتقدنا، فالقرآن الكريم يذكر أن أن الإيمان بالله والعمل الصالح هو الشاخص على إيمان الأفراد (راجع: البقرة/١١١-١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٣٧، آل عمران/٧٢، ٧٣ مائده/٤٨، ٦٩)، كما أن الأئمة عليهم السلام قد حددوا معايير خاصة للإنسان المؤمن والمسلم.

الإنسان لديه نوعان من الحياة بين الموجودات الحية: المادية والمعنوية، فحياته المادية تشبه باقي الموجودات الأخرى وتتطلب وصول الماء والغذاء إلى جسمه لكي يحفاظ على بقائه في الحياة المادية، لكن الحياة المعنوية هي بحد ذاتها تنقسم إلى نوعين، فالقسم الأول يتعلق بالعالم الدنيوي المتثمل بحياته الاجتماعية والقسم الثاني يتعلق بحياته الأبدية الخالدة التي تضمن له السعادة الدائمة والسرمدية. لا يمكن نيل هذا النوع من الحياة دون الإيمان

بالله والعمل الصالح، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل/٩٧)، وهذه الآية تشير إلى هذا النوع من الحياة. في الواقع أن الغاية من إرسال الرسل والأنبياء والكتب السماوية وشرائع الأديان من عند الله هو وصول الإنسان إلى مثل هذه الحياة الخالدة.

ل. **الاعتقاد بالإمامة باعتبارها عامل أفضلية الشيعة:** إن الاعتقاد بالإمامة لا يعني أفضلية الشيعة على سائر الناس وكذلك لا يعني غفران ذنوبهم ومعاصيهم، فمغفرة الذنوب لا تتم إلا من خلال توبة نصوح وتقوي،كما بينها القرآن الكريم (على سبيل المثال: الانفال/٢٩، الاحزاب/٧٠ و ٧١، الحديد/٢٨، الطلاق/٥). وفي التعاليم الدينية تعتبر طاعة الله الطريق الوحيد للتقرب إليه وإن التشيع ومحبة آل البيت لا يتم تعريفها إلا من خلال طاعة الله واتباع شريعته (كليني: ١٨٨/١). إن الصلاة والزكاة والصوم والحج وطاعة الإمام وأداء حقوق الناس و... هي من المؤشرات التي ينبغي على كل مسلم أن يمتلكها (الصدوق: الخصال، ٣٢٨/١).

مواقف الأئمة من الغلاة والمتطرفين:

هناك الكثير من الروايات المنقولة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام التي تذكر تحذيرات الأئمة من خطر نفوذ الأفكار الغالية في المجتمعات الإسلامية وانتشارها بين المسلمين. وقد ثبتت مواقف النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام والشيعة الصادقين من هذه الظاهرة في المصادر القديمة والحديثة، فالكل قد حذر من مغبة هذه الظاهرة وتبعاتها على عقائد المسلمين وأفكارهم. فالنبي على سبيل المثال يذكر ظاهرة الغلوة بعد النهي عنها ويصفها بأنها السبب في زوال الأمم والأديان الغابرة(احمد بن الحنبل: ٢١٥/١، ٣٤٧). ويذكر أن هناك فريقين سيهلكان في علي عليه السلام، محب غال ومبغض قال (الصدوق: الامالي،١٩٧؛ الطوسي: الامالي، ٢٥٦). وفي بعض المصادر الأخرة يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن فريقين ليس لهم نصيب من الدين: فريق يعادي آل البيت ويحاربهم وفريق يغلو في دينه ويتعدي حدود ما عين الله في الدين والعقيدة. إن مصير هذين الفريقين هو النار (ابن شاذان: ٨٠؛ الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ١٩٥/٤؛ الحر العاملي: ٣٧٧/٥). والإمام علي عليه السلام يقول أن شيعتي هم أهل وسطية ليسوا بالغلاة وليسوا بالمقصرين (المفيد: الامالي، ١٦؛ الطوسي: الامالي، ٥٢٥،

٦٢٦)، وكثيرا من رسائل الإمام على عليه السلام التي يخاطب بها معاوية بن أبي سفيان تبدأ بالاعتراف بعبوديته لله عزوجل (راجع: خطب الإمام على عليه السلام في نهج البلاغة).

أنصار الإمام في مواجهة الأفكار والعقائد الغالية:

إن انتشار الروايات الغالية في حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام زادت بشكل كبير للغاية حتى إنه جعلت زرارة بن أعين يقول ياليته كان يستطيع جمع كل روايات الشيعة ورميها في النار من أجل التخلص منها (صفار القمي: ٣١١)، وفي حديث له يخاطب به الإمام الصادق عليه السلام يقول زرارة بن أعين أن غرابة رويات الشيعة قد تفوق غرائب بني إسرائيل (الكشي: ١٥٧).

مواقف الإمام الصادق عليه السلام من الغلاة:

١. صيانة الشيعة الحقيقيين من الغلاة: فمن جملة الاساليب التي دأب عليها الامام في مواجهته للغلاة هو ايجاد فاصل بينهم و بين الشيعة الاصليين. إذ كان الاتصال بهم و الاختلاط معهم يعني ترك بعض الآثار السلبية على الشيعة.فقد ورد في رواية مسندة عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال للمفضّل بن مزيد مشيرا في كلامه الى اصحاب ابي الخطّاب و الغلاة: ((يا مفضّل لا تقاعدوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم و لا تصافحوهم و لا تؤاثروهم)) (الكشي: ٥٨٦/٢؛ محدث نوري: ٣١٥/١٢) وفي رواية أخرى منقولة عن ابي عبد اللّه عليه السلام انه قال: ((احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، الغلاة شر خلق اللّه يصغّرون عظمة اللّه و يدّعون الربوبية لعباده))(الطوسي: ألامالي، ٢/ ٢٦٤).

٢. تكذيب عقائد الغلاة: دأب الامام على رفض و استنكار عقائد الغلاة مستهدفا بذلك ابعادهم عن المجتمع الشيعي، فحدد الامام كتاب اللّه باعتباره الميزان الذي يميز الحق عن الباطل، و هو في نفس الوقت الذي انبرى فيه لتسفيه معتقدات المغالين، اوجد حركة فكرية مناسبة بين الشيعة في سياق تصحيح احاديث و عقائد الشيعة. ينقل الشهرستاني بأن سديرا الصيرفي جاء الى الامام الصادق عليه السلام و قال له: ((بنفسي أنت، ان شيعتك اختلفوا فيك و يصرّون على ذلك، فمنهم من يقول ان كل ما يحتاج إليه الامام لهداية الناس يلقى إليه، و بعضهم يقول: يوحى إليه، وبعضهم يقول: يلهم قلبه، و يقول جماعة آخرون: يرى في المنام، و يقول جماعة

آخرون: يفتي على كتابات آبائه فاي هذه الآراء صحيح فدتك نفسي؟ فقال له الامام: ((يا سدير ليس من هذه الاحاديث حديث صحيح، فنحن حجج اللّه و امناؤه على عباده و نأخذ الحلال و الحرام من كتاب اللّه)) (تفسير الشهرستاني المخطوط، الورقة ٢٥، نقلا عن آذرشب، مجلة تراثنا، العدد ١٢ ص١٨). تظهر الرواية السالفة كيف اثّرت العقائد المغالية على الشيعة، و اوجدت بينهم الانقسامات حتى اختار طلاب الحقيقة وسط هذا المعترك فوجدوا في الامام الصادق عليه السلام الملاذ الوحيد الذي يمكن الاطمئنان إليه، فيقوم بارشادهم كما ينبغي.

و ينقل الشهرستاني رواية أخرى تعكس وجود نفس هذا الاختلاف الفكري بين الشيعة فقد جاء الفيض بن المختار الى الامام الصادق عليه السلام و قال له: بنفسي أنت، ما هذا الاختلاف الذي وقع بين شيعتك؟ فاني احضر في مجلسهم احيانا فأوشك على الشك فيكم، ثم اذهب الى المفضل فيطرح على بعض النقاط التي تعيد لي الثقة و السكينة. فقال له ابو عبد اللّه عليه السلام: نعم ان الناس قد اصبحوا ميالين للكذب و كأن اللّه قد اوجبه عليهم و لا يريد منهم سواه. فأنا احدثهم بالحديث فما يخرجون من عندي الّا و يؤوّلونه على غير معناه الصحيح (الشهرستاني: ص٢٦/ تراثنا، العدد ١٢ ص١٨.)

يعكس القسم الاخير من الرواية مشكلة اختلاف وجهات النظر بين الشيعة و التي اشرنا إليها في البداية باسم الانحراف. فنفوذ بعض الافكار الالحادية للغلاة بين بعض اتباع الامام دفعهم الى تأويل احاديثه تأويلا غير صحيح خلق مشاكل بين الشيعة، بحيث ان عددا معدودا من الاصحاب الحقيقيين للامام كان باستطاعتهم أن يكونوا مرجعا لحل تلك المشاكل مثل المفضل. و جاء في رواية أخرى ان عيسى الجرجاني قال: قلت للامام جعفر بن محمد عليه السلام هل لي ان اعرض عليك ما سمعته من هذه الجماعة؟ قال: قل. فقلت له: ((فان طائفة منهم عبدوك و اتخذوك الها من دون اللّه، و طائفة أخرى والوا لك بالنبوّة. قال فبكى حتى ابتلت لحيته ثم قال: ان امكنني اللّه من هؤلاء فلم اسفك دماءهم سفك اللّه دم ولدي على يدي (السهمي: ٣٢٢).

و كانت مهدوية الامام الباقر عليه السلام من جملة ما تخرّصت الغلاة في عهد الصادق عليه السلام به و قد استنكرها الامام بشدّة (الكشي: ٣٠٠) و قد طرحت قضية نبوّة الائمة المعصومين من

قبل الغلاة أيضا، و ردّ عليها الائمة، فقد نقل عن الامام الصادق عليه السلام انه قال بهذا الشأن ((من قال إنّا انبياء فعليه لعنة اللّه و من شك في ذلك فعليه لعنة اللّه)) (الكشي: ٣٠١)

٣. تكفير الغلاة: لقد كفّر الامام عليه السلام قادة الغلاة و اتباعهم و فصل بذلك بين خطّهم و خط شيعته، وبهذا الموقف تمكّن الامام من تعيين المسار الذي ينبغي ان يسلكه الشيعة وانقذهم من التلوّث والانحراف الذي كان ينفث نحوهم من قبل اولئك المغالين. كان التجسيد او التجسيم واحدا من ادوات الغلاة في تحليل المفاهيم الدينية، فهم لم يطلقوا المفاهيم الدينية على مصاديقها الحقيقية، بل كانوا يتصورون امثلة تجسد معانيهم المفترضة و قد ادى مثل هذا الاتجاه الفكري- الذي يعد انحرافا جليا في الدين و اقصاء له عن حقيقته- الى ان يستنكره الامام الصادق عليه السلام. إذ جاء في رواية انه كتب كتابا الى ابي الخطاب و هو من زعماء الغلاة ورد فيه: ((بلغني انك تزعم ان الزنا رجل وان الخمر رجل و ان الصلاة رجل و ان الصيام رجل وان الفواحش رجل، و ليس هو كما تقول انّا اصل الحق و فروع الحق طاعة اللّه، و عدوّنا اصل الشر و فروعهم الفواحش)) (الكشي: ٢٩١) و جاء في رواية اخرى انه كلّم بعض الغلاة فقال لهم: ((توبوا الى اللّه فانتم فساق كفار مشركون)) (الكشي: ٢٩٧) ان تأكيد الامام على استنكار و ادانة الغلاة كان بسبب اتساع عملهم الدعائي و تأثيرهم على فئة كبيرة من اهل الكوفة، و قد ادّى وجود التقية آنذاك في اغلب تصرّفات الشيعة الى أن يتصور الكثير منهم ان الامام قد ادانهم في الظاهر و لكنه يؤيدهم في الباطن و انه هو الذي رتب لهم الامور و اظهرهم الى الوجود. و قد ضاعف هذا التصوّر من معاناة الامام بشأن فرز و ابعاد الغلاة من الاوساط الشيعية.

إن الغلاة ورغم أنهم قد تلقوا ضربات موجعة بسبب إدراك الإمام لحقيقتهم وكشف ما هم عليه من فساد في الرأي وخطل في المعتقد، لكنهم قد استمراوا ولأمد طويل بعد حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وواصلوا جهودهم الرامية إلى تشويه الثقافة الإسلامية.

النتائج:

إن ظهور وتكامل واستمرار وإعادة انتاج الأفكار الغالية كان موجودا لدي جميع الأديان والمذاهب والفرق والجماعات بما فيها مذهب الشيعة، وقد كان لظاهرة الغلو

أشكال وأساليب مختلفة، ففي عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام كانت بشكل إدعاء الأولوهية للأئمة وأنهم مفوضين من عند الله بأعمال الخلق والحساب، وكان الأئمة المعصومون يكذبون هؤلاء الغلاة ويردون عليهم ردا عنيفا وقويا. كان جميع مساعي الإمام جعفر الصادق عليه السلام في محاربته لهذا الفكر الغالي والمنحرف تتمثل في توعية المجتمع الشيعي ومحاربة هذه الأفكار المنحرفة، فالإمام الصادق نفسه كان يعتقد أيضا بأن الإمام هي شرط استمرار النبوة وقد عد مزايا وصفات للإمامة بعيدة كل البعد عن الأفكار الغالية والمتطرفة، وأمر أنصاره أن لا يرفعوا الأئمة أعلي من مقامهم لأن الله قد خلقهم عبادا له. وفي العودة إلى واقعنا المعاصر اليوم نقول أنه يتوجب علينا نحن أن نستخرج الأفكار الغالية من النصوص والمصادر الشيعية لنطهر شخصيات الأئمة من الهالة الخرافية والأسطورية التي نسجت حولهم ونجعل منهم نماذجا تحتذي في المجتمع ويمكن الاقتداء بها من قبل الجميع وفي كل عصر وزمان، وهذا الأمر يكون دافعا لحركة المجتمعات نحو الكمال والوصول إلى مستوي راق من الأخلاق والفكر والتقدم، وفي هذه الحالة لا يكون عظماء المذهب الفكري مجرد أشخاص يتم تقدسيهم بل يكونون أسوة ومرشدا لهداية المجتمع وقيادته.

Abstract:-

Imamate(leadership) is undoubtedly the most important position and role in the Imamate Shiite theological system of thought. Belief in "Nas(textuality)" and "Infallibility" on the one hand, and the role that the Imamate has placed on the spiritual position of the Imam, namely the religious monopoly of the Imams, can indicate the importance of this position. On the other hand, at least among some of the Imami's tendencies and circles, provided a discussion about the specific characteristics of Imam as the nature of Imamate's authority and the scope of the knowledge and power of the Imam. The Shi'a and especially the Shi'ites of Imam Ali claim to be loyal to the political system explained by the Prophet Muhammad (PBUH), which is rooted in the teachings of the Qur'an. They have officially and practically declared this loyalty by designing the two principles of "nas (textuality)" and "infallibility".Insisting on the imam's infallibility is an attempt to adapt leadership competencies to the characteristics of the Prophet Muhammad (PBUH), and the belief in the inspiration of insisting on maintaining the divine position of the leaders of society. Belief in the

Nas(textuality), expresses the insistence on maintaining the divine position of the leaders of the community.

Imam Sadegh (AS) refers Imam that he should be the most wise man, most righteous, most beloved, most gracious, most brave, more pious, and the best judges for the people. The Prophet (s) introduced the infallible Imams (AS) as the best man to be patient,honest and wise.The Imam is acknowledged of pure sins and of defects, allocated to knowledge and knowledge of tolerance, and the system of religion and magnitude of Muslims and the anger of the hypocrites and the ruin of the infidels. Imam is the only religious authority responsible for the teaching of divine law and interpretation of the moral education of the community. With existance of Imam, prayers, fasting, pilgrimage and jihad are complete and provide forgiveness and zakat, and the limits and rules of execution and the protection of the borders are protected. Imam is depositary on earth and among his creatures and his allegiance to his servants. He keeps religion from the heritage and distorts it and leads the society. He is the successor to God and His Messenger, and Imamate is the perfection and perfection of religion. There is no exaggeration in the words of Imam (AS). Contrary to what the exagerators believe that the Imams (AS) are as supernatural and extra-human beings and abnormal beings, which God has entrusted to them things such as creation, formulation, daily fulfillment of creatures, decree of judgments and they have intrinsic science, absolute, non-acquisitions, actual, infinite, unknowing knowledge of the news of the heavens and the earth, knowledge of the time of the resurrection. Miracle is their verb and they are innocent of sin. Imam Sadegh (AS) strongly fought these beliefs and attributed them only to God.

هوامش البحث

(١)- الأبواب الأربعه: الإيمان بالله والإيمان برسوله والإيمان بما أنزل إليه والإيمان والتسليم لأولي الأمر.

(٢) - للوقوف على موضوع جعل شخصية عبدالله ابن سبأ راجع كتاب الفتنة الكبرى لطه حسين، ج٨، ص١٣٦؛ وأيضا راجع مرتضى عسكري، عبدالله ابن سبأ وخرافات أخرى.

(٣)- للوقوف أكثر على حقيقة مذهب الغلاة وعقائدهم راجع: الشهرستاني، الملل والنحل،٢٣٢/١ - ٢٣٣؛إقبال، آل نوبختي، ٢٦٠؛ حلي، أنوار الملكوت، ٢٠١.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله، شرح نهج البلاغه، تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم، القاهره: دار احياء الكتب العربيه ١٣٨٥-١٣٨٧ ق / ١٩٦٥-١٩٦٧ م.
- ابن الأثير، عزّ الدين على بن احمد بن ابي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق مكتبة التراث، بيروت: دار صادر، ١٣٨٥-١٣٨٦ ق.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن على، لسان الميزان، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٧١ ق.
- ابن حزم، أبو محمد على بن احمد بن سعيد الاندلسي، الفصل في الملل والاهواء النحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر و عبد الرحمن عميره، بيروت: ١٤١٦ ق / ١٩٩٦ م.
- ابن رستم طبري، ابو جعفر محمد بن جرير (منسوب)، دلائل الامامه، نجف اشرف: منشورات المطبعة الحيدريه و مكتبتها ١٣٨٣ ق / ١٩٦٣ م.
- ابن سعد، محمّد بن سعد كاتب الواقدي، الطبقات الكبري، تحقيق احسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٧ م.
- ابن شاذان، شيخ محمد بن احمد بن حسن، مائة منقبة في فضائل على و الائمه عليهم السلام، قم: ١٤٠٧ ق.
- ابن شعبه حرّاني، حسن، تحف العقول عن آل الرسول، طهران: دار الكتب الاسلاميه، ١٣٦٦ ش.
- ابن شهر آشوب، ابو جعفر رشيد الدين محمد بن على المازندراني، مناقب آل أبي طالب، النجف: المطبة الحيدريه، ١٩٥٦ م.
- ابن صباغ مالكي، على بن محمد، الفصول المهمه في معرفة احوال الائمه، نجف: مكتبة دار الكتب التجارية.
- ابن قتيبه الدينوري، أبو عبدالله محمّد بن مسلم، عيون الاخبار، قاهره: مكتبة التجاريه، ١٣٧٢ ق.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨ ق.
- أبو زهره، محمد، الامام الصادق عليه السلام: حياته و عصره، آراؤه و فقهه،: دارالفكر العربي.
- احمد بن حنبل، مسند احمد بن حنبل، بيروت: دارالجليل.

- اربلي، على بن عيسي، كشف الغمه في معرفة الائمه، مقدمه ابوالحسن شعراني، نشر الادب الحوزه، كتابفروشي اسلاميه.
- استرآبادي، على، تأويل الآيات الظاهره، تحقيق مؤسسه امام مهدي عليه السلام، قم: ١٤٠٧ق.
- الاشعري، ابو الحسن على، مقالات الاسلاميين، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، قاهره: ١٩٦٩م.
- اشعري قمي، سعد بن عبدالله ابي خلف، المقالات و الفرق، تحقيق محمد جواد مشكور، تهران: مركز انتشارات علمي و فرهنگـي، ١٣٦١ ش.
- اقبال، عباس، خاندان نوبختي، طهران: مكتبة طهوري، ١٣٥٧ ش.
- امام اول على بن ابي‌طالب عليه السلام، نهج البلاغه، ترجمه سيد جعفر شهيدي، طهران: انتشارات تعليم الثورة الإسلامية، ١٣٧١ ش.
- البلاذري، احمد بن يحيي، أنساب الاشراف، تحقيق سهيل زكار، بيروت: دار الفرك، ١٩٩٦ م.
- التستري، محمّد تقي، قاموس الرجال، قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٩ ق.
- حرّ العاملي، محمد بن حسن، اثبات الهداة بالنصوص و المعجزات، طهران: دار الكتب الاسلاميه، ١٣٨٠ق.
- الحسني الرازي، سيد مرتضي بن داعي، تبصرة العوام في مقالات الانام، تحقيق عباس اقبال آشتياني، طهران: شركة انتشارات اساطير، ١٣٦٤ ش.
- حلّي، جمال الدين أبي منصور حسن بن يوسف بن مطهّر، انوار الملكوت في شرح كتاب الياقوت، تحقيق محمد نجمي زنجاني، قم: انتشارات الشريف الرضي، ١٣٦٣ ش.
- حلي، حسن بن سليمان، المحتضر، تحقيق على اشرف، نجف: ١٤٢٤ ق.
- حميري قمي، عبدالله بن جعفر (صحابي الامام حسن العسكري عليه السلام)، قرب الاسناد، قم: ١٤١٣ق.
- خنجي، فضل الله بن روزبهان، وسيلة الخادم إلى المخدوم في شرح صوات الأربعة عشر عليهم السلام.
- خويي (آيت الله)، سيد ابو القاسم، معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواة، طهران: نشر توحيد، ١٤١٣ ق.
- ذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق على محمّد بجاوي، مطبعة عيسي البابي الحلبي.

- فخر الدين رازي، محمدبن عمر، اعتقادات فرق المسلمين، تحقيق على سامي نشار، قاهره: ١٣٥٦ق/١٩٣٨م.
- راغب اصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمّد سيد كيلاني، طهران: ١٣٣٢ش.
- سهمي، حمزه، تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبدالسعيد خان، بيروت:١٤٠١ ق/١٩٨١ م.
- الشبلنجي، شيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن، نورالابصار في مناقب آل‌بيت مختار صلى الله عليه وآله، بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤٠٩ ق.
- شهرستاني، أبو الفتح عبدالكريم، الملل و النحل، بيروت: ناصر للثقافه، ١٩٨١ م.
- صدوق (ابن بابويه)، أبو جعفر محمد بن على، الاعتقادات، تحقيق سيد على قلعه كهنه، مشهد: انتشارات قدس رضوي.
- ----------، الامالي، بيروت: مؤسسه الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٠ م.
- ----------، الخصال، تحقيق علي اكبر غفاري، قم: جامعه مدرسين.
- ----------، علل الشرايع، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، نجف: المكتبة الحيدريه، ١٣٨٥ ق.
- ----------، عيون اخبار الرضا، تحقيق مهدي لاجوردي، قم: ١٣٦٣ ش.
- ----------، كمال الدين و تمام النعمة، ت تحقيق حسين اعلمي، بيروت: ١٤١٢ ق/ ١٩٩١ م.
- ----------، من لايحضره الفقيه، تحقيق حسن موسوي خرمان، بيروت: ١٤٠١ ق / ١٩٨١ م.
- صفار القمي، أبو جعفر محمّد بن حسن بن فروخ، بصائر الدرجات الكبري في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله، تحقيق محسن، زقاق باغي تبريزي، قم: ١٤٠٤ ق.
- الطبرسي، أبوعلي الفضل بن الحسن، اعلام الوري بأعلام الهدي، تحقيق سيد محمّد مهدي و سيد حسن خرسان، طهران: دار الكتب الاسلاميه، ١٣٣٨ ق.
- ----------، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم رسولي محلاتي و فضل الله يزدي طباطبايي، بيروت: ١٤٠٨ ق / ١٩٨٨ م.
- ----------، مشكاة الانوار، قم: ١٣٨٥ ق / ١٩٦٥ م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت: دار صادر ١٣٨٢-١٣٨٧ ق/ ١٩٦٢-١٩٦٧ م.

- الطوسي، أبو جعفر محمّد بن حسن، الامالي، بغداد: ١٣٨٤ ق.
- طه حسين، الفتنة الكبري، على و بنوه، مصر: دارالمعارف،١٣٣٠ ق / ١٩٥١ م.
- العسكري، مرتضي، عبدالله بن سبا وأساطير أخرى، بيروت: دارالزهراء، ١٤١٢ ق.
- العياشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق هاشم رسولي محلاتي، قم: انتشارات علميه اسلاميه، ١٣٨٠-١٣٨١ ش.
- فتال نيشابوري، ابو جعفر محمد بن حسن، روضة الواعظين و بصيرة المتعظين، ترجمه دكتر محمود مهدوي دامغاني، طهران: انتشارات ني، ١٣٦٦ ش.
- قاضي نعمان تميمي مغربي، نعمان بن محمد، دعائم الاسلام، تحقيق آصف بن على اصغر فيضي، مصر: دارالمعارف، ١٣٨٣ ق / ١٩٦٣ م.
- ----------، شرح الاخبار في فضائل الائمه الاطهار عليهم السلام، تحقيق سيد محمدرضا حسيني جلالي، قم: مؤسسه نشر اسلامي، ١٤٠٩ ق.
- القمي، على بن ابراهيم، تفسير القمي، تصحيح طيب موسوي جزايري، قم: مؤسسه دار الكتاب، ١٤٠٤ ق.
- كراجكي، محمّد بن على، الاستنصار.
- الكشي، محمّد بن عمر بن عبد العزيز، اختيار معرفة الرجال (معروف به رجال الكشي)، مشهد: ١٣٤٨ ش.
- كليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق على أكبر غفاري، طهران: دار الكتب الاسلاميه، ١٣٩١ ق.
- مجلسي، ملا محمّد باقر، بحار الانوار الجامعه لدرر الائمه الاطهار عليهم السلام، طهران: دار الكتب الاسلاميه، ١٣٦٢ ش.
- محدث نوري، حسين بن محمد، مستدرك الوسائل، قم: انتشارات اسماعيليان.
- المزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق بشار عوّاد معروف، بيروت: مؤسسة الرساله، ١٤٢٢ ق / ٢٠٠٢ م.
- المسعودي، على بن الحسين، مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق شارل بلا، قم: مكتبة الشريف الرضي، ١٤١٣ ق.
- المصاحب، غلامحسين، دائرة المعارف فارسي، طهران: شركة سهامي للكتب جيبي، ١٣٥٦ ش.

- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق على أاكبر غفاري، بيروت: مؤسسه الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠٢ ق / ١٩٨٢ م.
- ----------، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم: مؤسسة آل البيت، ١٤١٩ ق/ ١٩٩٩م.
- ----------، الامالي، بيروت: دار المفيد، ١٣٧٢ ق.
- ----------، تصحيح اعتقادات الاماميه، تحقيق حسين دركاهي، بيروت: ١٤١٤ق/ ١٩٩٣م.
- ----------، المقنعه، كنگره جهاني شيخ المفيد، ١٤١٣ ق.
- نعماني، محمد بن ابراهيم، الغيبه، تحقيق على اكبر غفاري، تهران: مكتبة الصدوق، ١٣٩٧ق/١٣٥٦ش.
- نوبختي، حسن بن موسي، فرق الشيعه، تحقيق محمّد جواد مشكور، استانبول: ١٩٣١م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، تحقيق ادوارد سخاو، بيروت: دار صادر، ١٣٧٩ ق / ١٩٦٠م.